المعالجات الإسلامية

لمشاكل الإنسان

الطبعة الثانية

تأليف

سماحة السيد صدر الدين القبانچي

إعداد وتحقيق

مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

هوية الكتاب:

الكتاب: المعالجات الإسلامية لمشاكل الإنسان

المؤلف: السيد صدر الدين القبانچي

الناشر: مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر:

حينما تُثقل الهمومُ كاهلَ البشرية.

حينما يلفّ الضبابُ ثوبَ الانسانية الشفّاف.

حينما تنغرس في المجتمعات مخالبُ البؤس والعناء.

حينها تلتفت النفوس إلى ماض عريق، وتتطّلع إلى غد مشرق علّها تجد بين طيات ذاك وإشراقة هذا ما يكون بلسماً لجراحاتها ومسحة لبؤسها وعنائها.

وفي أثناء مسيرها المعذب تفترق لتجد نفسها تحتضن رؤى وأفكاراً خالتها تشفي الغليل وتلملم الجراح، وتنتشلها من مستنقع الاضطراب والبؤس والشقاء.

فذهبت يميناً علّها تسترفد بما يعينها على خوض غمار العناء والوصول إلى ساحل النجاة، فما كان منها إلاّ أن رجعت القهقرى إذ كان حقيقةُ ما خالته وواقع ما ظنّته سراباً زائفاً يحسبه الظمآن ماءاً، ثمّ ولجت شمالاً تأمل بصيص نور يدلّها على الطريق اللاحب والصراط المستقيم، ولكنها لم تر غير ظلام دامس وضياع مستمر وتيه عريض.

وأصبحت البشرية كقشة في مهبِّ الريح تتقاذها أمواجٌ من الأفكار الماركسية من جهة، والرؤى الرأسمالية من جهة ثانية مما زاد

في غرقها وبؤسها بعدما تكشّف عري هذه الأفكار وقشريتها وخلوّها من كل حياة هادئة رصينة تنظر بعقلانية إلى الماضي فتستلهم منه ما يعينها على طيّ الحاضر والاستعداد للمستقبل.

وهذا ما نجد معالمه واضحة في الفكر الإسلامي حيث المعالجات الرئيسية لكل هذه العذابات والخروج من مآزق واسقاطات طالما حسبتها البشرية سبيلاً لتحقيق آمالها وأحلامها عبر إعطاء طروح فكرية تتلائم وتداعيات المرحلة المعاشة في الوسط الاجتماعي.

وهكذا وجدت البشرية ضالتها المنشودة في المدرسة النفسية ذات الأبعاد والجذور الإسلامية والكفيلة في علاج بل الوقاية من جميع هذه الأمراض التي أحدقت بالبشرية والمجتمعات الإنسانية. وضيّقت عليها الخناق فلا يوجد متنفس إلاّ من خلال تبني النظريات السماوية التي صاغتها يد السماء فجاءت مواكبة لكل عصر ومصر.

من هنا كان من الضرورة بمكان التأكيد على حركية الإسلام وقابليته على إعطاء الحل الناجع في المجالات الإنسانية كافة، فالعولمة الإسلاميّة ليس هي فقط أداء الفروض والتكاليف وترك النواهي الملزمة بقدر ما هي تطبيق الإسلام كواقع يتحرك مع الحياة ويلتقي مع هموم الشباب، ومحاولة جاهدة وصحيحة لإزالة ما يعتري البشرية على صعيد الفرد والمجتمع من آلام ومحنٍ نفسيّة وخطى حثيثة للكشف عن الخزين الهائل الذي تمتلكه النظرية الإسلاميّة في جميع هذه الأبعاد.

والكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ هو محاولة جادة

وموفقة لإعطاء الحلّ الناجع والصحيح للأزمات التي تعتصر الأمّة وتأخذ بمجامعها من مشاكل وهموم بعد تشخيص الأمراض والمعضلات؛ لأن تشخيص الداء خير سبيل لمعرفة الدواء.

وقد قام سماحة حجة الإسلام والمسلمين العلاّمة المجاهد السيد صدر الدين القبانجي بفتح نافذة وإلقاء ضوء على أمثال هذه الهموم وكيفية علاجها مع عرض وتوضيح للمدارس الفكرية المتعددة، آخذاً بنظر الإعتبار طرح الفكر الإسلامي المستنبط من القرآن والسنة وذلك في طيّات خطبه القيّمة في صلاة الجمعة في النجف الأشرف تاركاً المجال مفتوحاً والطريق مشرعاً أمام البحث الجاد والمتخصّص لدارسات أوسع وأشمل للتعبير عن المعالجات الإسلامية لمشاكل الإنسان.

ونظراً لأهمية مثل هذه البحوث في عصر يعجّ بتراكمات الحاضر وترسبات الماضي، لذا إرتأى مكتب امام جمعة النجف الأشرف إخراج هذه المضامين في سطور على شكل حلقات تظهر تباعاً إن شاء الله تعالى.

ويتضمن الكتاب الأوّل معالجات إسلامية لأربعين مشكلة تعاني منها المجتمعات الإنسانية.

وقد عانى الكثير منها شعبنا المظلوم والمعذّب عبر عقود من الزمن جرّاء ما خلفه النظام البعثي البائد، طبعت بصماتها على الطفل الصغير فضلاً عن الشيخ الكبير، وألقت بكاهلها الكئيب الحزين على شبابنا وشاباتنا، ولكن هيهات فانّ شباب العراق أقوى من أن تذلهم

وتضعف من قواهم تحديات من هذا القبيل، فاعتقادهم بدينهم وإسلامهم لا يعتوره أيّ شكٍّ وشبهة، وأنّه القادر على إيجاد الحلول لأكبر المعضلات.

* * *

هذا وقد تضمنت الطبعة الأولى لهذا الكتاب خمساً وعشرين معالجة فيمة أضفنا إليها معالجات أخرى تناولها السيد المؤلف في خطب صلاة الجمعة فتألف هذا الكتاب في طبعته الثانية من أربعين معالجة إسلاميّة لأربعين مشكلة إنسانيّة.

مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

١/ جمادى الأولى/ ١٤٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

وبعد:

بـودي أن أقـدر الجهـود التـي بـذلها الإخـوة فـي إعـداد هـذا الكتـاب وجمـع هـذه البحـوث التـي تناولناهـا بشـكل مـوجز فـي خطـب صـلوات الجمعـة فـي الصـحن الحيـدري الشـريف مـن مدينـة النجـف الأشـرف، بـدءاً مـن ٨/ رجـب/ ١٤٢٤هـ وبعـد شـهادة شـهيد المحـراب وإمـام الجمعـة الأوّل فـي هـذه المدينـة المقدسـة سـماحة آيـة الله الشـهيد السـيد محمّـد باقر الحكيم قدس سره.

مؤكـداً ان هـذه (المعالجـات) هـي محاولـة لإلقـاء الضـوء علـى الخطـوط العريضـة فـي طريقـة المعالجـة الإسـلامية لأهـمّ المشـاكل الإنسـانية، ويبقـى علـى الباحـث والخطيـب أن يتوسـع فيهـا مـن خـلال عـرض النصـوص القرآنيـة وأحاديـث السـنة الشـريفة والشـواهد التاريخيـة القديمة والمعاصرة للتدليل عليها.

ولقـد كنـت أود أن يتسـع الوقـت أكثـر لتقـديم المزيـد مـن الشـرح والإيضـاح والمقارنـة وبيـان عمـق المعالجـات الإسـلاميّة وتميزهـا عـن المـدارس الأخـرى لكـن الوقـت المخصـص والمحـدد لخطبـة صـلاة الجمعة لم يكن يسمح لنا بأكثر مما تناولناه.

مقـدماً عـذري للقـراء الأعـزاء الكـرام، والحمـد لله حمـداً كثيـراً ونسأله العفو والمغفرة والقبول.

السيد صدر الدين القبانجي

٢٥/ محرم الحرام / ١٤٢٥هـ

المشكلة الأولى
القلق

كـان علـيّ وبإيجـاز وضـغط كبيـر أن أتنـاول عنوانـاً عريضـاً، أضـع مفرداتـه فيمـا بعـد بـإذن الله تعـالى، هـذا العنـوان العـريض هـو المعالجـات الإسـلامية لمشـاكل الإنسـان، الإسـلام يقـدم معالجـات لكـل مشـكلة فرديـة واجتماعيـة علـى المسـتوى الاقتصـادي، وعلـى المسـتوى السياسـي، وعلـى المسـتوى النفسـي وعلـى المسـتوى العـائلي، يقـدم معالجـات لمشـاكلنا، المشاكل الفردية، والمشاكل الجمعية.

مشكلة القلق:

إحـدى تلـك المشـاكل، التـي نطـرح بإيجـاز معالجـة الإسـلام لهـا مشـكلة القلـق النفسـي، مشـكلة الاضـطراب، هـذه المشـكلة التـي يصـطلح عليهـا القـرآن الكـريم بقولـه تعـالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَـانَ خُلِـقَ هَلُوعـاً * إِذا مَسَّـهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾.[1]

هـذا القلـق الـذي تحـول فـي عصـرنا هـذا وفـي المجتمعـات الغربيـة إلـى مـرض حضـاري،[2] القلـق بصـوره وانعكاسـاته، البـؤس، الانتحـار،

(1) المعارج: ١٩ - ٢١.

(2) جاء في جريدة بغداد العدد ١٣٢١/ ٤ آيار ٢٠٠٦ تحت عنوان:

٤٠٠ مليون مريض نفسياً في العالم:

التمـزق العـائلي، الاحبـاط، اليـأس، فقـد الشخصـية، فلسـفة العبـث، فلسـفة التمـرد، فقـد الأمـل، هـذه الامـراض التـي تسـيطر علـى الإنسـان المـادي والغربـي فـي عصـرنا هـذا، هـي مفـردات لعنـوان القلـق الـذي يصـيب كـل واحـد منـا، حـين يتعـرض إلـى مشـكلة، حينمـا يتعـرض لمصـيبة، حينمـا يتعـرض إلـى قلـة رزق، حينمـا يتعـرض إلـى فقـد عمـل مـن الأعمـال، يصاب بالقلق، ربما يصاب باليأس، يصاب بالاحباط.

وهكـذا فـي عملنـا ومشـاريعنا السياسـية، قـد تصـاب أمّـة كاملـة بالاحبـاط، أمّـة كاملـة تصـاب بـالقلق والاضـطراب النفسـي، أمّـة كاملـة تستسـلم لإرادة أعـدائها، هـذا قلـق، ولكنـه قلـق علـى مسـتوى أمّـة، فيتحـول إلى مرض حضاري وجماهيري واجتماعي عام.

كيـف عـالج الإسـلام هـذا المـرض الـذي نتعـرض لـه نحـن جميعـاً، فـي مجـالات عملنـا، وداخـل أسـرنا، وفـي عملنـا السياسـي، وفـي مشـاريعنا

]

بعـد ١٥٠ عامـاً علـى مولـد أبـو العـلاج النفسـي سيغموند فرويـد تتزايـد أعـداد مـن هـم بحاجـة إلـى معـالج نفسـي للتغلـب علـى مشـاكلهم وذلـك بحسـب المجلـس العـالمي للعـلاج النفسـي. وتقـدر منظمـة الصحة العالميـة أن هنـاك نحـو ٤٠٠ مليـون شـخص فـي مختلـف أنحـاء العـالم يعـانون مـن مـرض نفسـي خطيـر. ولـد فرويـد فـي ٦ آيـار العـام ١٨٥٦ وتلقـى أسـاليبه فـي عـلاج الاضـطرابات النفسـية اقبـالاً متزايـداً فـي ألمانيـا والنمسـا والسـويد وهولنـدا وفرنسـا وإيطاليـا، ومنطقـة أميركـا اللاتينيـة وفـي دول آسـيا مثـل اليابـان والصـين وتايلانـد. ويقـول الخبـراء إن الزيـادة الراهنـة فـي العـلاج والتحليـل النفسـي ترجـع جزئيـاً إلـى الاتجـاه نحـو الانغزاليـة والأُسـر الصغيرة.

الاجتماعية، حتّى في دروسنا وجامعاتنا؟ ﴿إِنَّ الإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾.[١]

ما هي المعالجة؟

معالجة القلق:

الإسلام يذكر المعالجة بعنوانها العريض وهي ذِكرُ الله تبارك وتعالى، ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.[٢]

القرآن الكريم يعتبر مشكلة القلق بكل صوره ناشئة عن الابتعاد عن الله تبارك وتعالى، ولهذا فإن الإنسان المؤمن لا يمكن أن يصاب بهزيمة، ولا يمكن أن يصاب بمثل هذا المرض الذي ساد عالم اليوم، لماذا؟

لأن الإنسان المؤمن مرتبط بالله سبحانه وتعالى. القرآن الكريم يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى﴾[٣] **ذلك لمن أعرض عن ذكر الله، أما ذلك الإنسان المرتبط بالله تبارك وتعالى، الذاكر لله فان معيشته سعيدة على كل الأحوال، ولهذا نقرأ في زيارتنا للإمام الحسين** عليه السلام: **«أشهد أنك أمين الله وابن أمينه عشت سعيداً ومضيت حميداً»**[٤] **رغم ان الإمام الحسين** عليه السلام **لم يعش عيشةً مرفَّهة، سعادة الإنسان بمقدار ارتباطه بالله وثقته بالله تبارك وتعالى مهما تكالبت عليه الشدائد والصعاب، أما القلق والاضطراب**

---

(١) المعارج: ١٩ - ٢١.

(٢) الرعد: ٢٨.

(٣) طه: ١٢٤.

(٤) مصباح المتهجد: ٧٨٨ في زيارة الأربعين.

النفسي فهو نصيب أولئك الذين ينسون ذكر الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[١] **ذلك الذي يَعشُ عن ذكر الله، أما الإنسان الذاكر لله فان قلبه مطمئن بالإيمان.**

* * *

---

(١) الزخرف: ٣٦.

المشكلة الثانية

الخوف

في الأسبوع الماضي تحدّثنا عن مرض إنساني تحوّل إلى مرض حضاري وهو القلق، اليوم نتحدّث عن مرض آخر يصيب الإنسان الفرد فيشلّ حركته ويصيب الأمّة الكاملة فتصير أمّة ذليلة مستعبدة.

المرض الثاني هو الخوف، الخوف من العدو، من الحصار الاقتصادي، الخوف من كيد الكائدين، الخوف من مؤامرات الداخل حينما نتحدث عن الأمّة.

والفرد أيضاً قد يصاب بالخوف، الخوف من عدم وضوح المستقبل، الخوف من الفقر، الخوف من الوحدة، الخوف من الغربة، الخوف من قلّة العدد.

الخوف وسيلة الاستعباد:

الخوف يشلّ حركة الإنسان في كل مشاريعه الصغيرة والكبيرة فهو لا يقدم على أي مشروع لأنه إنسان خائف، والأمّة عندما تكون خائفة ستموت وتستعبد وتذل، ولهذا فإن قوى الطاغوت والاستكبار العالمي تستعبد الأمم اليوم، كيف تستعبدهم؟ من خلال الخوف، قانون الخوف، تهديدهم إما بحرب وإما بانقلاب عسكري وإما بعقوبات اقتصادية وإما بغزو ثقافي، فتجد أن الأمم التي لا تمتلك أصالة ولا تمتلك حضارة ولا تمتلك إرادة تستسلم وتتحول إلى أمّة

عبيد رغم انها تمتلك ثروات وكفاءات وأعداد سكانية ضخمة لكنها لا تمتلك قدرة على مقاومة الخوف، الاستكبار العالمي اليوم يستخدم هذه العصا، عصا التغيير السياسي.

الاستكبار العالمي والكفر العالمي استخدم القنابل الذرية لكي يقول لقوات الدول الأخرى انكم معرضون لقتل جمعي عبر قنابل ذرية، الذي صنعه الاستكبار والكفر العالمي في (هيروشيما) هو هذا، هو محاولة السيادة على الناس ومحاولة استعباد الشعوب عبر التهديد بالقنبلة الذرية، واليوم تهدد الدول المستضعفة بقطع المعونات، وتهدد دول كبرى بعقوبات اقتصادية، تهدد دول كبرى أيضاً بغزو ثقافي، وتلك الدول مضطرة للاستسلام؛ لأنها لا تملك مقومات المجتمع الأصيل والمستقل.

الخوف في القرآن:

القرآن الكريم يشير إلى هذا المرض ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[1] في مقابل الخوف يأتي الإيمان ليهزم جيوش الخوف والجبن، تكون النتيجة ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾.[2]

الأمّة التي يكون رصيدها الإيمان وهو درعها الحصين، هذه الأمّة تكون عاقبتها ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾.[3]

موسى وهارون على نبينا وآله وعليهما أفضل الصلاة والسلام

---

(١) آل عمران: ١٧٣.

(٢) آل عمران: ١٧٤.

(٣) السابق.

قال الله تبارك وتعالى لهما: ﴿اذْهَبا إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى * قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغى * قالَ لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى﴾.[1]

لا معنى للخوف عند نبي، عند أمّة مؤمنة، ﴿لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى﴾.[2]

إذا كان الله مع المؤمنين إذن ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾،[3] وحتّى حينما تنزل المصيبة تجد أن المؤمن مستحكم كالبنيان المرصوص، ﴿الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.[4]

نتائج الارتباط بالله:

ثلاث نتائج يحصل عليها المؤمن عندما يرتبط بالله سبحانه وتعالى، حتّى عند المصيبة، حتّى عند الفاجعة، حتّى أمام العدو، حتّى في قلب المعركة، ثلاث نتائج حينما يقول عملياً ﴿إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾،[5] ﴿أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾،[6] هذا أوّلاً، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾،

(١) طه: ٤٣ - ٤٦.
(٢) طه: ٤٦.
(٣) الشورى: ١١٢.
(٤) البقرة: ١٥٦ و١٥٧.
(٥) البقرة: ١٥٦.
(٦) البقرة: ١٥٧.

هذا ثانياً، ﴿وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾،[1] الاهتداء إلى طريق النجاة، إلى الخلاص من تلك العقد، الاهتداء إلى التغلب على تلك الصعوبات والمشاكل، ﴿وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ وهذه هي النتيجة الثالثة.

خوف المقاطعة:

﴿وَقالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا﴾،[2] هؤلاء المساكين حينما دعاهم الأنبياء إلى الإيمان قالوا لرسلهم: إذا اتبعناكم سوف يقتلنا الأعداء المشركون، سوف نستضعف، سوف يصيبنا الفقر، سوف نسجن، سوف نطرد، سوف نهجّر ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا﴾، القرآن الكريم يقول هؤلاء المساكين هؤلاء الناس لماذا لا يعرفون الحقيقة ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنّا وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.[3]

ألا يعلمون أن النصر بيد الله، أن الرزق من عند الله، أن العافية بيد الله، أن العدو بيد الله، أن القلوب بيد الله، أن السيادة بيد الله، أن العزة بيد الله، إذن فيم نخاف؟ وممّ نخاف؟ ﴿حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.[4]

الآن دول أفريقيا هي أكثر منّا عدداً لماذا هي مستعبدة؟ لأنّ الخوف سيطر عليها، دول زادت نفوسها على المليار مع ذلك استسلمت أمام الهجمة الغربية، استسلمت، حينما هددتها أمريكا

(١) السابق.
(٢) القصص: ٥٧.
(٣) السابق.
(٤) آل عمران: ١٧٣.

بالعقوبات الاقتصادية، لماذا؟ لأنهم لا يملكون مفردات العلاج التي يقدمها الإسلام.

علاج الخوف:

فعلاج الخوف _ كما تفيده الآية الكريمة _ بالأمور الثلاثة:

١ _ الإيمان بالله تبارك وتعالى ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾.

٢ _ العلم بأنّ الأمر بيد الله سبحانه وتعالى ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾.

٣ _ التوكل عليه ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

إذا جمعنا هذه الأمور الثلاثة، فأننا لا خوف علينا ولا نحن نحزن.

* * *

المشكلة الثالثة

اليأس

تحدّثنا فيما مضى عن مشكلة القلق، وعن مشكلة الخوف الذي يصيب أمماً ومجتمعات فتستعبد، ونتحدث اليوم عن مشكلة ثالثة هي مشكلة اليأس، وكيف عالج الإسلام هذه المشكلة؟

اليأس على عدة مستويات:

أوّلاً: اليأس على مستوى الفرد.

ثانياً: اليأس على مستوى المجتمع.

اليأس قد يتطور ويتعمق فيتحول إلى كفر بالله تبارك وتعالى، فيتحول إلى ذنب من كبائر الذنوب، ولهذا يقول فقهاؤنا جميعاً: إنّ اليأس أحد كبائر الذنوب والمعاصي.

اليأس، ليس حالة علمية وإنما حالة مرضية، ربما على المستوى العلمي يصل الطبيب إلى يأس من علاج لهذا المرض، واليأس هنا حين يكون يأساً علمياً لا مشكلة فيه، إنما الحديث عن ذلك اليأس من قدرة الله، الحديث عن ذلك اليأس من رحمة الله، الحديث عن ذلك اليأس من عفو الله. اليأس هنا يتحول إلى كبيرة من الكبائر، لأنه عبارة عن حالة مرضية وليس قانونية، ولا حالة علمية.

اليأس من كبائر الذنوب:

في حالتين يكون اليأس من كبائر الذنوب:

الحالة الأولى: اليأس من العفو والمغفرة الإلهية:

ذلك الإنسان المذنب يأتي الشيطان ويوسوس له، يقول: أنت من أهل جهنم، الله لا يعفو عنك، إذن تمادى في الذنوب ولا ترجع إلى التوبة. اليأس من عفو الله ورحمته، من كبائر الذنوب.

الحالة الثانية: اليأس من قدرة الله:

اليأس من قدرة الله تبارك وتعالى على نجاتنا ونصرنا وتأييدنا، اليأس هنا يتحول إلى كبيرة من كبائر الذنوب. والقرآن الكريم نهى عن هاتين الحالتين من اليأس.

أما اليأس من رحمة الله وعفوه ورضوانه، فقد قال تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ﴾.[1] الله هو غافر الذنب وقابل التوب، الله غفور رحيم، الله يدعونا للتوبة إليه وقد جاء في الحديث الشريف: «إن الله ﷻ يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب كما يفرح أحدكم بضالته إذا وجدها»[2] الله يحب ذلك العبد.

قد دعينا للاستغفار والتوبة بهذا الصدد، ونحن في شهر رجب المرجب، ونحن في الجمعة يوم الاستغفار، ويوم التوبة، ويوم العودة إلى الله تبارك وتعالى، أدعو نفسي وأدعو إخواني للاستغفار، والتوبة، والعودة إلى الله تبارك وتعالى.

---

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) الكافي ٢: ٤٣٦.

الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى نصب ملكاً، في السماء السابعة، يقال له الداعي، فإذا دخل شهر رجب، ينادي ذلك الملك كل ليلة منه إلى الصباح يقول: طوبى للذاكرين، طوبى للطائعين، يقول الله تعالى: أنا جليس من جالسني ومطيع من أطاعني، وغافر من استغفرني، الشهر شهري، والعبد عبدي والرحمة رحمتي، فمن دعاني في هذا الشهر أجبته، ومن سألني أعطيته، ومن استهداني هديته، وجعلت هذا الشهر حبلاً بيني وبين عبادي، فمن اعتصم به وصل إليّ».[1]

إذن لا مجال لليأس من عفو الله ومغفرته.

أما اليأس من القدرة الإلهية: قد تصاب أمم ومجتمعات في معترك الحياة كما يصاب الفرد في أعماله ومشاريعه باليأس من النجاح، لأنّه لا يعرف قدرة الله تبارك وتعالى.

هنا القرآن الكريم يقول على لسان يعقوب: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾.[2] **بعد أعوام غاب فيها يوسف، ألقوه في البئر، كل الحسابات لا تسمح أن يبقى يوسف حياً، فضلاً أن يكون وزيراً أو ملكاً، لكن يعقوب وهو نبي وهو العارف بالله قال:** ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.[3]

الله قادر على كل شيء، الله قادر على أن يبقي يوسف حياً، الله

---

(١) إقبال الإعمال لابن طاووس: ١٧٤.

(٢) يوسف: ٨٧.

(٣) يوسف :٨٧.

قادر أن يجعل يوسف ملكاً، ثمّ الله قادر أن ينصر المؤمنين فيحكموا الأرض، لا مجال لليأس من قدرة الله تبارك وتعالى حينما يتعلق به العباد.

نحن اليوم يريد أعداؤنا أن يعرضونا ليأس من تحقيق أهدافنا، يريد أعداؤنا أن نعيش حالة اليأس والقنوط من تحقيق أهدافنا وآمالنا والعمل بمناهجنا، ولكن لا مجال لليأس أبداً، ونحن بحمد الله تعالى نقرأ مستقبلاً مشرقاً أمامنا مليئاً بالنجاح تلو النجاح، والنصر تلو النصر، بإذن الله تعالى.

نحن لا نعرف طريقاً لأيّ تردد وأيّ فزع وأيّ يأس، لماذا؟ لأنّ الله تبارك وتعالى هو القادر على حفظنا والقادر على دفع البلاء عنا.

المستقبل المشرق:

أيها المؤمنون نحن نقرأ مستقبلاً مشرقاً، أيها الإخوة والأخوات نحن نقرأ مستقبلاً نشهد فيه تحقيق أهدافنا إن شاء الله، وليعلم كل إخواننا وأخواتنا من أبناء شعبنا العراقي خاصة، أن العراق اليوم يتهيأ للإعداد لمرحلة الظهور الأعظم لإمامنا وولي أمرنا # ، نحن نعيش مرحلة الإعداد بكل ما تستحق هذه المرحلة، إذ تستحق علينا حزماً وتصميماً وإقداماً، وإمامنا وقائدنا هو حجة الله على خلقه، إنه ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾،[1] ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾،[2]

---

(١) البقرة: ١١٢.

(٢) السابق.

لـيعلم أعـداؤنا، لـيعلم كـل العـالم أن العـراق عـراق الإسـلام، عـراق أهـل البيت.

علاج اليأس فيما شرحه القرآن الكريم:

١ _ العمل والتصميم ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ﴾.

٢ _ الثقة بالله ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾.

* * *

المشكلة الرابعة

التمزق العائلي

تناولنا في الخطب السابقة، مشكلة القلق وتناولنا مشكلة الخوف، وتناولنا مشكلة اليأس، وكيف عالج الإسلام هذه المشاكل الإنسانية.

اليوم نتناول مشكلة رابعة، هذه المشكلة أضحت مرضاً عالمياً، المجتمع العالمي اليوم يعاني منها، وهي مشكلة التمزق العائلي والتفكك الأسري.

اليوم المجتمع العالمي يعاني من هذه الحالة، وخاصة مجتمعات الغرب، ثمّ سرت هذه المشكلة إلى مجتمعاتنا فصارت بعض مجتمعاتنا تعاني من حالة التمزق العائلي وتفكك الأسرة.

ضرورة الأسرة:

الإسلام يعتقد أن الأسرة ضرورة تكوينية لبقاء المجتمع الإنساني، ولا يمكن تهميش هذه الضرورة، ولا يمكن لأية حضارة أو جاهلية أخرى أن تقضي على نواة الأسرة، وإذا قضي على الأسرة فإنه يقضى على المجتمع الإنساني، ولهذا فإن الغرب اليوم ـ غرب التحلل ـ يحاول المحافظة على الأسرة، ولكن الأسرة تمزقت في الغرب، تفككت في الغرب، وفي مجتمعاتنا يوجد شيء من هذه المعاناة.

ما الذي حدث في مجتمعاتنا؟ وما الذي حدث في مجتمعنا العراقي بالذات تجاه قضية الأسرة.

الذي حدث أمور ثلاثة:

الأمر الأوّل: تأخر في بناء الحياة الزوجية:

الحياة الزوجية التي دعا الإسلام للتبكير بها والإسراع فيها تأخرت في مجتمعنا العراقي، اليوم إذا أردنا أن نحسب المعدلات، نجد أن معدل العمر للرجل حينما يقدم على الزواج هو (٣٥) عاماً، بينما المعدل الصحيح هو (٢٥) عاماً، وكذلك الفتاة المعدل الصحيح لها كي تدخل في الحياة الزوجية هو (١٥) عاماً، بينما هنا في المجتمع العراقي تأخر المعدل إلى (٢٥) عاماً، يعني هناك عشر سنوات تأخير عن الحياة الزوجية السعيدة كما يريدها الإسلام.

الأمر الثاني: تصاعد في نسبة الطلاق:

وهذا التصاعد بلغ القمّة في الغرب، ثمّ سرى إلى مجتمعاتنا أيضاً، ذلك الطلاق الذي هو أشدّ مكروه عند الله تبارك وتعالى، سرى إلى مجتمعاتنا وهو أيضاً أبغض الحلال عند الله تبارك وتعالى.

الأمر الثالث: انخفاض نسبة السعادة العائلية:

هناك أسر وعوائل ليست سعيدة تعيش بؤساً واضطراباً، تعيش حياة غير سعيدة، بين الزوج والزوجة وبين الأب والأبناء، وبين الأخوة في داخل البيت الواحد، لماذا هذا الذي حدث في مجتمعاتنا الإسلامية التي يجب أن تكون النموذج والقمة للحالة الإنسانية؟

الـذي حـدث كـان ناشـئاً مـن مجموعـة عوامـل، أهمهـا: الابتعـاد عـن المنهج الإسلامي في حياة الأسرة.

ما هي الحلول؟

أوّلاً: الإسراع في بناء الحياة الزوجية.

فقـد قـال الرسـول ﷺ: «مـا بنـي بنـاء فـي الإسـلام أحـبّ إلـى الله تعالى من التزويج».[١]

وقال ﷺ: «من سرّه أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة».[٢]

ثانيـاً: التعامـل فـي داخـل البيـت علـى أسـاس التقـوى، والعـدل، والإحسان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.[٣]

وقـال تعـالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلا تُضارُّوهُنَّ﴾.[٤]

الله تبـارك وتعـالى أعطـى للمـرأة، للزوجـة حقهـا، كمـا للـزوج حقه، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٥] هناك تكافؤ في الحقوق.

بعض الناس يقرأون قوله تعالى: ﴿الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ﴾[٦] ولكنهم لا يقرأون ما يقوله المفسرون وما يقوله أهل البيت عليهم السلام في هذه الآية.

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٨٣/ ح ٤٣٤٣.
(٢) المقنع للصدوق: ٣٠١.
(٣) النساء: ١٩.
(٤) الطلاق: ٦.
(٥) البقرة: ٢٢٨.
(٦) النساء: ٣٤.

قوامـون، نعـم، هـم القوامـون، مسـؤولون عـن تـدبير الأسـرة، ولكـن هـذه المسـؤولية إلـى جانبهـا الحنـان، كـذلك القـائم علـى مزرعتـه وعلـى محلـه، وعلـى سـيارته وأدواتـه وملابسـه، كيـف يكـون الإنسـان قائمـاً علـى تلـك الأمـور، بمعنـى يتحمـل مسـؤولية الرعايـة، والعنايـة والرحمـة والإحسـان، ولـيس فقـط المسـؤولية تعنـي التسـلط مـن أعلـى، الرجـال قوامـون علـى النسـاء بمعنـى أنهـم يـدبرون الأمـر بكـل مـا يعنيـه مـن رعايـة وحنـان وعطـاء ورحمـة وقيمومـة، ﴿بِما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾[١] لـيس معنـى ذلـك أن الرجـل أفضـل مـن المـرأة، لأنّ القـرآن الكـريم يقـول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾[٢] إذن مـا معنـى ﴿بِما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾؟ هـو تفاضـل متبـادل، الرجـل أفضـل مـن المـرأة فـي بعـض الجوانـب، والمـرأة أفضـل مـن الرجـل فـي بعـض الجوانـب، ولهـذا قـال تعالى: ﴿بِما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾.

التفاضل هو بالتقوى والإيمان وليس بالأنوثة والذكورة.

ثالثاً: الصبر.

عـن النبـي ﷺ: «مـن كانـت لـه امـرأة تؤذيـه، لـم يقبـل الله صـلاتها ولا حسـنة مـن عملهـا حتّـى تعينـه وترضـيه، وإن صـامت الـدهر وقامـت وأعتقـت الرقاب وأنفقت الأموال في سبيل الله وكانت أوّل من ترد النار، ثمّ قال: وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب، إذا كان لها مؤذياً ظالماً».[٣]

(١) النساء: ٣٤.
(٢) الحجرات: ١٣.
(٣) وسائل الشيعة ١٤: ١١٦/ باب ٨٢/ ح ١.

الصبر من الطرفين هو الذي يصنع الحياة السعيدة في البيت.

رابعاً: العفاف المتبادل.

أيها المؤمنون، أيتها المؤمنات، الإسلام دعا إلى العفاف المتبادل، يطلب من المرأة أن تكون عفيفة، ويطلب من الرجل أن يكون عفيفاً، بعض الناس يفهمون العفاف من جانب واحد، لكن القرآن الكريم يؤكد نظرية العفاف المتبادل حينما يقول: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[1] كما أن المرأة مسؤولة عن عفافها، الرجل مسؤول عن عفافه أيضاً.

اليوم انتشرت في بلادنا، الأفلام الخليعة، الأقراص والسيديات حرمها فقهاؤنا، لأنها نافذة إلى الشيطان، لأنها نافذة إلى تدمير الأسرة والعائلة، والعفاف يمنعنا من ذلك، يمنع المرأة كما يمنع الرجل، ولهذا فإني أوصي إخواني وأخواتي جميعاً بالإقلاع والإبتعاد عن ظاهرة مشاهدة الأقراص والسيديات الفاسدة الخليعة التي هي نافذة الشيطان إلى بيوتنا وإلى قلوبنا.

هذه هي الحلول، ونحن مسؤولون عن بناء بيتنا ومجتمعنا على أسس إسلاميّة صحيحة لكي نكون نموذجاً للأمّة التي يقتدى ويحتذى بها، والعالم اليوم يتطلع إليكم وإلى مجتمعاتكم، إلى أسركم، إلى أولادكم، إلى كيفية بناء أركان مجتمعنا.

* * *

(١) النور: ٣٠ و٣١.

المشكلة الخامسة

الفُرقة والاختلاف

أهـم مشـكلة فـي المجتمعـات هـي مشـكلة الفرقـة والاخـتلاف، والفتنة، والتمزّق.

كيف عالج القرآن والإسلام هذه المشكلة؟

الآيـة التـي أتلوهـا عليكم هـي التـي ترسـم العـلاج حينمـا يقـول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾.[1]

خطر الاختلاف:

الفرقة مرض، الاختلاف مشكلة تطيح بالمجتمعات، وهذا هو الفرق بين الرؤية القرآنية الإسلاميّة، وبين رؤية الغرب، وموجز هذا الأمر الذي أذكره هو أن الغرب اليوم يرى أن تكامل المجتمعات إنما يكون عبر الاختلاف السياسي وعبر ما يسمونه بالتعددية السياسية، يعتبرون هذا التعدد هو الطريق إلى الكمال، لكن الإسلام على عكس ذلك يرى أنّ الوحدة هي الطريق لتكامل المجتمعات، ولهذا كان ديننا هو دين التوحيد.

نعـم، التعدديـة يمكـن أن يكـون لهـا مجـال علـى الهـامش، أمـا المسـار فهـو مسـار الوحـدة، والأصـل هـو الوحـدة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾.

(1) آل عمران: ١٠٣.

الوحدة طريق التكامل:

النظريـة الإسـلاميّة تقـول إن تكامـل المجتمعـات يـتم عبـر وحـدتها ولـيس عبـر اختلافهـا ولا عبـر مـا يسـمى اليـوم بالتعدديـة السياسـية، فالتعدديـة هـي اسـتثناء وعلـى الهـامش، أمّـا الأصـل فهـو الوحـدة، نحـن أبنـاء التوحيـد، ديننـا ديـن التوحيـد، وإمامنـا وقيادتنـا هـي القيـادة الواحـدة، قال تعالى: ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾.[1]

الاخـتلاف لا يتناسـب مـع الرحمـة الإلهيـة، إنمـا الوحـدة هـي التـي تتناسـب مـع الرحمـة الإلهيـة ولـذلك خَلقنـا الله للرحمـة والوحـدة، ولـم يخلقنا للاختلاف والفرقة.

كيف نَتَّحد؟

نتحـد حينمـا تكـون مبادؤنـا واحـدة، وحينمـا تكـون أهـدافنا واحدة، وحينما تكون قيادتنا واحدة.

وأنـا بهـذا الصـدد أريـد أن أقـف عنـد تشـخيص سـيدنا وشـهيدنا شـهيد المحـراب آيـة الله العظمـى السـيد محمّـد بـاقر الحكـيم رضـوان الله عليـه فـي مسـألة الوحـدة، والتـي كـان يراهـا شـعاراً وإطـاراً لحركتنـا، كيـف رسم لنا طريق الوحدة؟

لا شـك فـي وحـدة إسـلامنا، ومبادئنـا وقرآننـا، ولا شـك أن قيادتنـا الدينيـة هـي قيـادة واحـدة متمثلـة بورثـة الأنبيـاء والأئمّـة الأطهـار وهـم الفقهاء ومراجع الدين، فمبادؤنا وإسلامنا واحد، وقيادتنا واحدة.

(1) هود: ١١٧ و١١٨.

وحدة الأهداف:

وأمّا الأهداف فقد شخّص سيدنا الحكيم في هذه المرحلة ثلاثة أهداف مهمة إذا اتحدنا عليها اليوم فلا مجال للفرقة.

الهدف الأوّل:

هو التحرر الكامل من نظام البعث وأزلام النظام واجتثاث كل جذورهم، التحرر من النظام البائد، ليس فقط سقوط رأس النظام، بل لا بدّ من اجتثاث قواعد البعثيين المجرمين الذين أراقوا الدماء الزكية.

كان يؤكد رضوان الله عليه أن أولى أو لوياتنا في هذه المرحلة هي اجتثاث البعثيين والقضاء عليهم، لأنهم يشكلون تهديداً حقيقياً للبلاد، نحن اليوم نشخّص أن هدفنا الأوّل هو إكمال عملية التحرر من النظام البائد وكل فلوله.

الهدف الثاني:

هو الاستقلال وعودة السيادة للعراق والعراقيين وإنهاء الاحتلال بأسرع وقت ممكن.

الهدف الثالث:

هو العدالة التي يرسمها الدستور، ونحن على أبواب تدوين دستور عادل للبلاد، أيها المؤمنون، هذه هي الأهداف التي شخصها شهيدنا وسيدنا شهيد المحراب (التحرر والاستقلال والعدالة)، نحن بانتظار العمل في هذه الخطوط الثلاثة، ولا نقبل بأيّ معركة جانبية وأي اختلاف داخلي بعيد عن هذه الأهداف الثلاثة.

لنكن اليوم جميعاً صوتاً واحداً باتجاه فرض التحرر الكامل

للعراق من النظام البائد وأتباعه، ولنؤجل أيّ خلاف، لنؤجل أيّ وجهات نظر أخرى، قد نختلف هنا وهناك، قد تكون لنا آراء هنا وهناك، لكن أيها المؤمنون، أيها العراقيون، إن الخطر الذي يداهمنا قبل أي خطر آخر هو خطر البعثيين المجرمين الذين يريدون إعادة الفوضى والإرهاب والفتنة إلى البلاد.

أدعوكم وأدعو كل الدوائر الرسمية وأدعو مجلس الحكم الانتقالي للإصرار على قراره بفصل جميع أعضاء حزب البعث من الدوائر الرسمية، ولا مجال للاستثناء في هذا الأمر، ولكن كما قلنا في خطب سابقة نحن نقصد باجتثاث البعثيين أولئك المجرمين من أعضاء الفرق، مسؤولي المنظمات الحزبية، مسؤولي المخابرات والأمن، هؤلاء هم الذين يجب أن يستأصلوا من البلاد، أما الذين دخلوا حزب البعث غفلة، اشتباهاً، بدون إجرام فإن باب التوبة مفتوح لهم.

أما قضية الاستقلال وإنهاء الاحتلال فقد كان رضوان الله عليه يؤكد على ضرورة إنهاء الاحتلال، وقوى الاحتلال هي أيضاً تؤكد على أنّها يجب أن تنسحب وتعطي السيادة للعراقيين، لكننا نطالب بالإسراع في هذه المسألة.

بعض الوزارات والقيادات الكبرى في العالم شخّصت لذلك مراحل لكننا نقول: إن الاستقلال وإنهاء الاحتلال يجب أن يتمّ في أسرع فرصة ممكنة.

* * *

المشكلة السادسة
الفراغ القيادي

إن من أهم مشاكل الإنسان الفرد والمجتمع هو الفراغ القيادي، اليتيم بلا أب، الطالب بلا مدرس، المجتمع بلا قائد، هذه مشكلة، لا يمكن للابن بدون أب أن يرشد بشكل جيّد، ولا للطالب بدون مدرّس ولا المجتمع بدون قائد، المشكلة التي تعيشها الإنسانية منذ خلقها الله تبارك وتعالى على الأرض هي مشكلة الفراغ القيادي.

كيف عالج الإسلام والأديان هذه المشكلة؟

عالجها بوجود الأنبياء والأوصياء ثمّ الأولياء الفقهاء الذين يحملون دور القيادة والنيابة عن الإمامة المعصومة.

مذهب أهل البيت استطاع أن يقدّم حلاً رائعاً لمشكلة الفراغ القيادي، هذا الحل هو وجود الفقهاء واعتبار القيادة الشرعية لهم، أما غيرنا فانّه بدأ يتخبط في كيفية ملئ الفراغ القيادي؟

من هم أولوا الأمر الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1]؟

ولاية الفقهاء:

أهل البيت شخصوا لنا من هم أولو الأمر، وبالتالي حلوا مشكلة الفراغ

(١) النساء: ٥٩.

القيادي، ولهذا فإنّ الرواية الكريمة عن إمامنا صاحب العصر والزمان تصف هؤلاء الفقهاء وتقول: «فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله».[1]

والرواية أيضاً عن الإمام العسكري عليه السلام: «فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه»[2] لا توجد لدينا نحن شيعة أهل البيت عليهم السلام مشكلة فراغ قيادي بغياب إمامنا صاحب العصر والزمان عليه السلام.

وحينما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[3] الصادقون هم أئمّة الهدى ومصابيح الدجى، أما اليوم حينما نريد أن نكون مع الصادقين، من هم الصادقون؟ هم أتباع أهل البيت، هم القيادة الدينية، هم الفقهاء العدول الأكفاء، هم مراجع الدين، ولا مشكلة فراغ قيادي عندنا، بحمد الله سبحانه وتعالى.

ولكن هناك سؤال أنا أوجز القول فيه.

من هم المراجع؟

المرجع هو ذلك الفقيه، المجتهد، العادل، المتقي، الزاهد، الكفوء، الخبير، ذلك هو المرجع الديني.

فمن لم يكن فقيهاً مجتهداً لا يمكن أن نصفه بالمرجعية.

من لم يكن عادلاً زاهداً لا يمكن أن يكون إماماً للمسلمين.

(١) «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم» كمال الدين للشيخ الصدوق: ٤٨٤/ باب ٤٥/ ح ٤.

(٢) وسائل الشيعة ٢٧: ١٣١/ ح ٣٣٤٠١.

(٣) التوبة: ١١٩.

مـن لـم يكـن كفـوءاً وخبيـراً لا يمكـن أن يتحمـل مسـؤولية قيـادة المجتمع.

المرجعيـة الدينيـة هـي عبـارة عـن المرجعيـة الفقيهـة المجتهـدة العادلـة الكفـوءة العالمـة بـأمور النـاس وإدارتهـا، هـذه هـي المرجعيـة، وبهـا يملأ الفراغ القيادي بغيبة إمام زماننا عليه السلام.

* * *

المشكلة السابعة

الضلال والضياع

من أهمّ مشاكل الإنسان هو الضلال والضياع والانحراف وفقدان الهوية وفقدان المسير الصحيح، إنّ من أعظم مشكلات الشعوب الغربية(1) اليوم هو

(1) جاء في جريدة العدالة العدد ٥٩٤/ ٣ حزيران ٢٠٠٦ تحت عنوان:
١٠ بالمئة من مراهقي أميركا مكتئبون:
أظهرت إحصاءات حكومية نشرت أوّل من أمس أن واحداً بين كل عشرة مراهقين أميركيين تقريباً تعرض لاكتئاب خطير العام الماضي وأن أقل من نصفهم تلقوا علاجاً.
وقالت إدارة خدمات الصحة العقلية إن ما إجمالية تسعة في المئة من المراهقين أو ٢/٢ مليون أصيبوا باكتئاب وإن أولئك الذين في أواخر مرحلة المراهقة كانوا أكثر عرضة من أقرانهم الأصغر.
وعانى حوالي ١٢ في المئة من الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٦ و١٧ عاماً من اكتئاب حاد في ٢٠٠٤ مقارنة مع حوالي خمسة في المئة ممن تتراوح أعمارهم بين ١٢ و١٣ عاماً. وقال تشارلز كيوري مدير إدارة الصحة العقلية: (هذه البيانات الجديدة تدق ناقوس الخطر للآباء كي ينتبهوا. الصحة العقلية جزء حيوي من الصحة العامة وسعادة أطفالهم).
والاكتئاب الخطير يشير إلى فترة تستمر أسبوعين على الأقل يحدث فيها فقدان للاهتمام واعتلال الحالة المزاجية وأربعة أعراض أخرى على الأقل كتغير عادات النوم والأكل أو التركيز. وقال أطباء ان النتائج تظهر الحاجة إلى بذل مزيد من الجهد لمساعدة المراهقين في مراحل مبكرة وأنها ليست مفاجأة. وأوضح بينيت ليفينثال أستاذ علم نفس الأطفال والمراهقين بجامعة الينوي في شيكاغو ان عدد المراهقين المكتئبين حام حول ١٠ في المئة لنحو ١٥ إلى ٢٠ عاماً.

أنها ضالّة ولا تعرف طريق النجاح لا في الدنيا ولا في الآخرة...

مناشيء الضلال:

إن الضلال ينشأ أساساً من عاملين: فقد المبدأ، وفقد القيادة والإمامة.

ويعني ذلك أن الأمّة التي ليس لها مبدأ هي أمّة ضالة، والأمّة التي ليس لها قيادة وإمامة هي أمّة ضالة، فهذا الضّلال ينشأ إما من فقد مبدأ الرسالة والدين الصحيح، أومن فقد القيادة والإمامة الصحيحة.

المعالجة الإسلاميّة:

لقد عالج الإسلام هذه المشكلة من خلال التشريع الإلهي وهذا هو المبدأ، ومن خلال الإمامة المعصومة الإلهية، فمن أين يأتي الضلال للأمّة المسلمة وقد قال رسول الله ﷺ فيما أجمع عليه الرواة «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله _ وهو المبدأ _ وعترتي أهل بيتي _ وهي القيادة والإمامة _ فإنهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض ما إن تمسكتم بهما، _ بهذين

وقال: (على الرغم من حقيقة انه شائع وله أثر هائل على الأطفال وحياتهم فإننا لم نوجه الاهتمام المناسب لهذا المرض الخطير جداً). وأضاف ليفينثال انه مما يضيف صعوبات للعلاج قلة عدد المهتمين بالرعاية وقضايا التأمين والصعوبة التي يجدها الآباء والمعلمون في ملاحظة الأعراض.
وأصبح علاج الاكتئاب بين المراهقين قضية جدلية حين خلص عالم في إدارة الأغذية والعقاقير الأميركية أوائل عام ٢٠٠٤ إلى أن مضادات الاكتئاب قد تدفع المراهقين إلى الانتحار.

الحبلين: المبدأ الإلهي المتمثل بالقرآن، والقيادة الإلهية المتمثلة بالإمامة، فلا ضلالة عليكم _ لن تضلوا بعدي أبدا».[1]

كيف نرتبط بالإمام المعصوم؟

إن الارتباط بالإمامة المعصومة في زماننا هذا هو من خلال الارتباط بالفقهاء ومراجع الدين، فحينما نتخذ هؤلاء قيادة لنا ونجعلهم أولياء الأمر فحينئذ لا نضل، لأن القرآن بين أيدينا والقيادة الشرعية (المرجعية الدينية) معنا.

حينما نؤمن بالمرجعية الدينية فإنّ هذا الإيمان يحتاج إلى ترجمة، وهي أن نأخذ منهم التوجيه السياسي وليس فقط الفتوى الشرعية في الصلاة والصيام، نأخذ منهم الرؤية والموقف والقرار السياسي في كل حالة ومرحلة، في السلم والحرب، والصمت والصبر والمناهضة، فلا يحقّ لأحدنا أن يرسم له الموقف السياسي بعيداً عن المرجعية الدينية.

إنّ معنى «لن تضلوا بعدي أبداً» هو أن نتمسك بالإمامة المعصومة ثمّ بورثة الأئمّة الأطهار في تحديد الموقف.

أيها المؤمنون: في تحديد الموقف السياسي في ساحتنا العراقية اليوم يجب أن لا نذهب يميناً ولا شمالاً، بل نأخذ سياستنا وموقفنا من مراجع الدين.

وما هي الأولويات والمسؤوليات في هذه المرحلة؟ هذا ما يجب أن نأخذه من مراجع الدين المؤتمنين على حلال الله وحرامه.

* * *

---

(١) ورد الحديث بألفاظ متقاربة في كثير من المصادر عند الفريقين راجع: دلائل الإمامة للطبري الشيعي: ٢٠؛ الإحتجاج ٢: ١٤٧؛ وسنن النسائي ٥: ٤٦/ ح ٨١٤٨.

المشكلة الثامنة

العزوبة

اليوم نطرح مشكلة ونسأل عن معالجة الإسلام لها، في الأسابيع الماضية طرحنا بعض المشاكل الإنسانية.

اليوم نطرح مشكلة حقيقية تعيشها الشعوب الإسلامية ويعيشها شعبنا العراقي بشكل مكثّف، هذه المشكلة هي مشكلة (العزوبة)، التي تحوّلت في العراق بسبب ظروف الحروب، بسبب قتل الشباب، تحولت في العراق إلى معضلة حقيقية، إلى معاناة حقيقية كيف يعالجها الإسلام؟

مشكلة العزوبة، شباب بدون زوجات، ونساء وفتيات بدون أزواج.

ما هي أسباب هذه المشكلة؟

ثمّ كيف يعالجها الإسلام؟

واليوم كيف نعالجها نحن طبقاً لمبادئ الإسلام؟

هناك أربعة أسباب لمشكلة العزوبة:

السبب الأوّل: حياة التحلل والاختلاط الجنسي وإشباع الحاجة الجنسية عبر الحرام، عبر الاختلاط المحرم، هذا هو السبب الأوّل الذي يدعو كثيراً من الناس في الغرب خاصة إلى ترك الزواج، لماذا؟

لأنهم يعيشون حياة السقوط الأخلاقي، لا يحتاجون إلى أسرة ولا إلى زوجة.

السبب الثاني: الفقر المادي وصعوبات الحياة.

كثير من الشبان لا تتيسر لهم الإمكانيات الماديّة التي تيسّر عملية الزواج وعقد البيت السعيد. وشعوبنا في العالم الثالث تعاني من مجموعة أسباب، وأحد أهمّ تلك الأسباب هو السرقة العالمية لثروات شعوبنا، الفقر في شعوبنا سببه السرقة واللصوصية العالمية لشعوبنا الإسلامية، حيث تنهب ثروات هذه الشعوب من قبل اللصوصية العالمية. الفقر المادي هو الذي يمنع الكثير من عقد الأسرة الصالحة، ومن الإقدام على مشروع الزواج.

السبب الثالث: التقاليد الاجتماعية التي تمنع أحياناً مشروع الزواج الصحيح، تقاليد اجتماعية غير صحيحة لا يقبل بها الشرع، بعض العوائل لا تعطي إلاّ لأبنائها، لا تعطي لعائلة وأسرة أخرى، النهوة وتقاليد أخرى اجتماعية لا تسمح بتيسير عملية الزواج، وشروط غير صحيحة كأن يكون الشاب خريجاً جامعياً، أو يكون الشاب صاحب بيت أو محل أو ما شابه ذلك، هذه تقاليد منعت من تيسير عملية الزواج وبناء البيت.

السبب الرابع: وهذا ما اختص به العراق بدرجة كبيرة، هو الحروب ونقص الشبان، العراق الذي عاش أكثر من ثلاثة عقود، يعني أكثر من ثلاثين عاماً في حروب داخلية وخارجية، الحروب التي أكلت أكثر من مليون ونصف مليون شاب عراقي مظلوم، هذه الحروب التي أكلت هذا العدد الكبير من الشبان أدت إلى نقص في عددهم وهذا يعني أنّه بمثل هذا العدد من البنات يبقين بدون أزواج.

الحلول لمشكلة العزوبة:

الإسلام رسم الحل:

أوّلاً: حرمة الاختلاط الجنسي والتحلل الجنسي ووجوب العفاف ووجوب إشباع الحاجة البشرية بالطرق الصحيحة الشرعية التي ليست هي فقط غريزة الجنس وإنما حاجة لبناء أسرة، لأن القرآن يقول: ﴿هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ﴾[1] **ليست المسألة مسألة جنسيّة فقط، وإنما الشاب يحتاج إلى زوجة ليسكن إليها، والمرأة تحتاج إلى زوج لتسكن إليه.**

الإسلام حرّم الإختلاط الجنسي على سبيل الاباحية، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ * إِلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ﴾.[2]

بحمد الله شعبنا من الشعوب الملتزمة المتدينة، ليست مثل الشعوب الغربية، ولهذا فإنّ الإسلام يبدأ بمعالجة ثانية، لأنّ السبب الثاني ربما يكون هو الأكثر تأثيراً في شعوبنا.

ثانياً: مسألة الامكانات المادية وضعفها.

وهنا قال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أمتي... أقلّهن مهوراً».[3]

---

(١) البقرة: ١٧٨.

(٢) المؤمنون: ٦.

(٣) الكافي ٥: ٣٢٤/ باب خير النساء/ ح ٤.

وقال إمامنا الصادق عليه السلام: «وأما المرأة فشؤمها غلاء مهرها».[1]

وقال إمامنا السجاد عليه السلام: «بركة المرأة قلة مهرها».[2]

الإمكانيات المادية، الإسلام يقول لا تسرفوا في طلب الإمكانيات المادية، نعم الحاجات الأوّلية مطلوبة، لكن الله تبارك وتعالى هو الذي يتكفل الرفاه المعيشي لهذا الشاب حينما يقدم على الزواج.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيامى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإِمائِكُمْ﴾[3] **يعني زوجوهم أيها الآباء أيتها الأمهات زوّجوا أولادكم زوّجوا بناتكم** ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه﴾،[4] **إذا جاءكم هذا الشاب ولكنه فقير، انتظروا الفتح من الله** ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾ **عليم بحال هذا الشاب، وعليم بهذه الفتاة المظلومة المضطهدة، والله تبارك وتعالى مع علمه هو واسع، يعني هو الغني، يستطيع أن يغني هذين الشابين حينما يتزوجا.**

ثالثاً: التقاليد الاجتماعية.

أيها المؤمنون نحن أبناء الإسلام، نحن أبناء القرآن، نحن أبناء ما أحلّه الله لنا فهو حلال، وما حرمه فهو حرام، لسنا مع أي تقليد اجتماعي يتنافى مع الإسلام.

نعم التقاليد التي تقبل وتنسجم مع قيمنا الإسلاميّة نحن معها، لكن تلك

---

(١) وسائل الشيعة ٥: ٣٠٣/ ح ٥٥٠٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٧٨/ ح ٤٣٦٠.

(٣) النور: ٣٢.

(٤) السابق.

التقاليد المرفوضة إسلامياً لسنا معها ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾،[1] ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ﴾،[2] ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾[3] **إلى جانب كل هذا تعالوا انظروا إلى:**

استحباب الزواج:

كم دعانا الإسلام إلى تكوين الأسرة وتكوين البيت، خاصةً هذا الشعب الذي عاش ظروف حرب قتلت منه مئات الآلاف ونحن اليوم بحاجة إلى الإسراع في التغلب على هذه المشكلة الاجتماعية، لاحظوا كم دعانا الإسلام إلى التسريع في بناء البيت.

قال رسول الله ﷺ: «ما بني بناء في الإسلام أحبّ إلى الله ﷻ من التزويج»[4] أفضل حتّى من بناء المسجد، فيؤكد رسول الله ﷺ أن تبني بيتاً من زوجين هذا أحب إلى الله من أي بيت آخر.

ويقول إمامنا الصادق عليه السلام: «ركعتان يصليهما المتزوج أفضل من سبعين ركعة يصليها أعزب».[5]

وقال إمامنا الصادق عليه السلام: أتى رسول الله شاب من الأنصار ـ هذا الشاب مثلكم أيها الشباب ولكنه جاء إلى رسول الله ﷺ ـ فشكا إليه الحاجة.

---

(١) التحريم: ١.

(٢) الأعراف: ٣٢.

(٣) آل عمران: ٨٥.

(٤) مستدرك الوسائل ١٤: ١٥٣/ ح ١٦٣٥٠.

(٥) الكافي ٥: ٣٢٨/ باب كراهة العزبة.

قال: يا رسول الله أنا رجل فقير.

فقال له رسول الله ﷺ: «تزوج».

حلُّ مشكلة الفقر في الزواج، عجيب هي الحكمة الإسلاميّة، على عكس ما يفهمه الماديون، حلُّ الفقر هو الزواج.

قال له رسول الله ﷺ: «تزوج»، فقال الشاب وهو يتحدث مع نفسه ومع أصدقائه: قال لي رسول الله: «تزوج» وأنا لا أملك أموالاً للزواج، لمن أخطب وهل يعطوني وأنا ضعيف؟

قال الشاب: (إني لأستحي أن أعود)، يعني لا أستطيع أن أصارح رسول الله ﷺ أقول: يا رسول الله، لا أحد يزوجني لأنني فقير، فلحقه رجل من الأنصار فقال له: إن لي بنتاً وسيمة فزوَّجها إياه.

فقال إمامنا الصادق عليه السلام: فوسّع الله عليه، فأتى الشاب النبيل بعد مدة إلى رسول الله ﷺ فأخبره.

فقال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب عليكم بالباه»[1] يعني عليكم بالزواج وبناء الأسرة الإسلاميّة. هذا نموذج، ولاحظوا كيف عالجه رسول الله ﷺ، أسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا جميعاً على حل مشاكلنا وفق شريعة الله.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يكون مع شعبنا مع أهلنا مع شبابنا مع هذا الجمهور المؤمن رجالاً ونساءاً في التغلب على المشاكل التي هي من مخلفات النظام البائد ومن مخلفات الطاغية التي نعاني منها.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا على التغلب عليها.

---

(١) الكافي ج٥/ ٣٣٠ باب أن التزويج يزيد في الرزق ح١.

المشكلة التاسعة
الفقر

أشير إلى واحدة من أهم مشاكل الإنسان اليوم وفي ما مضى من الزمان وهي مشكلة الفقر.

فرغم تقدم العالم اليوم في المجال الصناعي والزراعي والاقتصادي، ورغم كل التقدم التقني (التكنولوجي) ما زال العالم اليوم يشكو من ظاهرة الفقر يكفي أن نعرف أن ستة ملايين إنسان يموتون جوعاً في كل عام،[1] ربما لا نعرف هذه الحقيقة في بلادنا لكن انظروا إلى البلدان الأخرى لتكتشفوا عمق مشكلة الفقر في العالم اليوم، ومشكلة الفقر أيضاً موجودة في مجتمعاتنا رغم ما منَّ الله تبارك وتعالى على بلادنا بالثروة الكبيرة وبالغنى الكبير، لكن هناك فقر وطبقة مسحوقة من الناس.

---

(1) جاء في جريدة بدر العدد ٦٢٣/ ٢٥ شوال ١٤٢٦هـ تحت عنوان:

فاو: الجوع وسوء التغذية يؤديان سنوياً إلى وفاة ستة ملايين طفل في العالم:

روما/ كونا: اعلنت منظمة الأغذية والزراعة (فاو) التي سلمت في روما تقريرها للعام ٢٠٠٥ حول الأمن الغذائي ان الجوع وسوء التغذية يؤديان سنوياً إلى وفاة ستة ملايين طفل في العالم ويطالان ٨٥٢ مليون شخص. وقالت الفاو في بيان لها ان معظم هؤلاء الأطفال يتوفون نتيجة أمراض معدية يمكن معالجتها مثل الاسهال والالتهاب الرئوي والملاريا والحصبة ولو كان لديهم جهاز مناعة قوي ولم تضعف بنيتهم بسبب الجوع وسوء التغذية لبقوا على قيد الحياة.

لعل الأكثرية يعيشون دون مستوى الفقر وليس بمستوى الفقر.

ما هي أسباب الفقر؟

ثمّ ما هي معالجة الإسلام للفقر؟

أسباب الفقر:

١ _ سوء التوزيع واستئثار المترفين الأثرياء بالثروة على حساب الضعفاء والمساكين.

يقول إمامنا سيد الوصيين أمير المؤمنين عليه السلام: «ما جاع فقير إلاّ بما مُتّع به غني».[1]

لا يوجد فقر إلاّ وإلى جانبه عملية استئثار وسرقة ومصادرة من قبل المترفين لحقوق هؤلاء الضعفاء، إن التخمة عند الأغنياء والمترفين هي التي تنعكس بوجه آخر إلى مجاعة عند الفقراء والضعفاء والمساكين.

٢ _ البطالة وفقدان فرص العمل.

٣ _ الحاكم الجائر.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾[2] هذه هي عقوبة وجود الحاكم الجائر في المجتمع بأن يسلب الله تبارك وتعالى منهم الثمرات، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾، أي بالقحط والجدب وبالمجاعة ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، إذا وجد الحاكم الجائر جاء معه الفقر والبلاء وفقد الأمن والمأساة الطبيعية والاجتماعية.

---

(١) مستدرك الوسائل ٧: ٩/ ح ٧٤٩٨.

(٢) الأعراف: ١٣٠.

الله تبارك وتعالى يعاقب الأمّة إذا سكتت عن الحاكم الجائر. فحتّى الطبيعة سوف تقحط، ولا تعطي ثمرها نتيجة وجود ذلك الحاكم الظالم الجائر.

٤ _ وجود العدو والاستعمار والاحتلال خاصة في بلادنا الإسلاميّة الغنية بالثروات.

إن أحد أسباب الفقر هو وجود الأعداء والحروب والمستكبرين والمحتلين، في أي بلاد كانت، إن هؤلاء بسياساتهم غير العادلة يجعلون الأمّة تعيش أزمات حقيقية في أمنها واقتصادها وعلاقاتها الإجتماعية وأمورها السياسية ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[1] إن الأمّة الإسلاميّة حينما تقف في مواجهة الاعتداء والاحتلال والاستكبار والاستعمار من الطبيعي أنها ستبتلى بنقص في الأنفس والأموال والثمرات ولكن ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

المعالجة الإسلاميّة:

تتم المعالجة بما يلي:

١ _ مبدأ التكافل الاجتماعي:

يقول إمامنا الباقر عليه السلام: «أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره أقامه الله يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقة عيناه مغلولة يداه إلى عنقه فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثمّ يؤمر به إلى النار».[2]

(١) البقرة: ١٥٥.

(٢) الكافي ٢: ٣٦٧/ باب من منع مؤمناً شيئاً/ ح ١.

إنّ مبدأ التكافل الإجتماعي يعني أن يعطف الغني على الفقير، والذي يملك على من لا يملك.

لا يجوز أن يوجد في مجتمعنا فقراء وضعفاء وإلى جانبهم أغنياء متخمون بالغنى والثروة. انفقوا في سبيل الله، فأيما مؤمن منع مؤمناً محتاجاً إلى مال أو طعام أو سكن، وهذا فصل الشتاء والفقراء محتاجون.

أيّها الأغنياء أيها المؤمنون يا من تملكون القدرة على مساعدة إخوانكم، «أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه أقامه الله يوم القيامة مسوداً وجهه ثمّ يؤمر به إلى النار ويقال: هذا الذي خان الله ورسوله»، لأنّ هذه الأموال هي أموال الله وأموال العباد، وليست ملكاً شخصياً لهذا الإنسان دون سواه.

التكافل الإجتماعي مبدأ أقرّه الإسلام ودعا إليه لمعالجة مشكلة الفقر.

٢ _ الدعوة إلى العمل:

والمبادرة إلى ابتكار العمل والبحث عن فرص العمل وخلقها. إن الإنسان يحتاج إلى جد واجتهاد وابتكار وإبداع وبحث عن فرص العمل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله».[1]

وقال إمامنا الصادق عليه السلام: «أربعة لا يستجاب لهم، دعاء رجل جالس في بيته يقول: يا ربّ ارزقني فيقول له: ألم آمرك بالطلب؟»،[2] ألم أقل لك أذهب واعمل وابحث عن فرص العمل؟ ما معنى أن تجلس في بيتك وتقول: اللهم ارزقني، أن يتعلم الإنسان على حالة

(١) فقه الرضا لعلي بن بابويه: ٢٠٨.

(٢) مستدرك الوسائل ٥: ٢٥٣/ ح ٥٨٠٨.

الاستجداء ولا يعمل ولا يبحث عن فرص العمل حيث يكون ذلك ظاهرة مَرَضيَّة وسيئة.

٣ _ الارتباط بالله تعالى وتوثيق العلاقة معه:

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ﴾[1] فبالإيمان والتقوى تنزل بركات السماء وتخرج بركات الأرض ﴿وَلكِنْ كَذَّبُوا﴾ بالدين ﴿فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[2]

٤ _ التأمين الإجتماعي:

إن الدولة في الإسلام مسؤولة عن تأمين الفقراء والمساكين وتوفير فرص العمل وتوفير المادة لهم إذا لم توفر لهم فرص العمل.

إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام، المثل الأعلى في العدالة والحاكم العادل، إمامنا الذي نقف إلى جنبه والذي ضرب أروع الأمثلة في العدالة على طول التاريخ، مرّ ذات يوم برجل هرم مكفوف عاجزٍ فسأل عنه من هذا؟

قيل: إنّه نصراني.

قال عليه السلام: «استعملتموه حتّى إذا كبر وعجز منعتموه»،[3] انفقوا عليه من بيت المال وإن كان نصرانياً، إن بيت المال للمساكين للمسلمين ومن يعيش في حماهم وإن كان نصرنياً. «استعملتموه يوم كان شاباً وقوياً حتّى إذا كبر وعجز تركتموه، انفقوا عليه من بيت المال».

---

(١) الأعراف: ٩٦.

(٢) السابق.

(٣) ميزان الحكمة ٢: ١٢٢٨.

هذه رحمة الإسلام والعدالة الإقتصادية في الإسلام، وهذه هي المباديء التي لو وضعنا على أساسها دستور العراق الجديد لسعد العراق والعراقيون، ولهذا نؤكد أن الدستور يجب أن يقوم على أساس العدالة الإسلاميّة، والهوية الإسلاميّة، العدالة التي رسم نموذجها أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ _ التحرر من الحاكم الجائر:

بدون ذلك لا يمكن أن نصل إلى الغنى والثراء والعدالة الإقتصادية، إن شأن حكّام الجور الظالمين المستكبرين هو امتصاص ثروات الشعوب.

بالأمس اجتمعت الدول المانحة للعراق وقدمت (٣٣) مليار دولار لدعم العراق، وهذا موقف يستحق الشكر، ولكن أين هي مشكلة العراق؟ أين هي الأزمة الحقيقة؟ لماذا يحتاج العراق إلى دعم وإسناد وهو مليء بالثروات ومن أغنى الدول في العالم؟ لماذا أصبحنا نمدّ أيدي الاستجداء لدول هي أضعف وأفقر منّا وأقل تقدماً وتحضراً؟ كيف وصلنا إلى هذا الحال؟ ولماذا؟

السبب هو سرقة ثروات العراق من قبل حكّام الجور، السياسات الإقتصادية الفاشلة التي تفرض على الشعوب من قبل الاحتلال وقواه.

إن ما يسرق اليوم من نفط العراق يعدل أكثر مما أعطي له من مليارات الدولارات، إن السياسات الإقتصادية الموضوعة للعراق مبنيّة على هدم البنية الإقتصادية للعراق.

ولا معنى أن نقف وإلى الأبد مستجدين من دول مانحة للعراق،

نحـن نريـد أن نبنـي اقتصـاداً عـادلاً قائمـاً علـى إرادة العـراقيين مبنيـاً علـى دعم الماكنة الإقتصادية العراقية وليس على هدمها.

وعلـى كـل حـال، فـإن إحـدى معالجـات الإسـلام للفقـر هـي (التحـرر والاسـتقلال)، وأن تعـيش الشـعوب إرادتهـا، وأن تبنـي نفسـها ومـن دون ذلـك فإنهـا سـتبقى فقيـرة، وسـتبقى تمـدّ يـد الطلـب والاسـتجداء للآخرين.

* * *

المشكلة العاشرة

الصراع القومي

اليـوم نتنـاول مشـكلة مـن مشـكلات المجتمعـات، مـن مشـكلات البشرية، من مشكلات الإنسانية، ننظر كيف عالجها الإسلام؟

تلك هي مشكلة الصراع القومي بين الشعوب.

ما تزال البشرية تعاني من معارك قومية، كانت هذه المعارك بصيغة قتال عشائري، ثمّ عندما تأسست الدولة في العالم تحوّلت المعارك إلى معارك دول، هذه هي تجسيدات للصراع القومي بين الشعوب ثمّ بين الدول.

مـا تـزال البشـرية تعـاني مـن هـذا الصـراع علـى أكثـر مـن مسـتوى لـيس فقـط القتـل وإهـدار الـدماء، وإنمـا اسـتنزاف الطاقـات الإقتصـادية أيضاً بعد استنزاف الطاقات البشرية.

كـم تـدخر الـدول اليـوم فـي وزارة الـدفاع مـن مئـات المليـارات للتسـليح لمـاذا؟ والنـاس جيـاع والفقـر موجـود فـي العـالم، لكـن أضـخم ميزانيـة فـي معظـم الـدول هـي ميزانيـة التسـليح ووزارة الـدفاع، لأجـل الاسـتعداد والتهيـؤ للعـدوان القـومي والصـراع القـومي، وهكـذا تنفـق المليارات لأجل التسلح والقتال بين الشعوب.

أسباب الصراع القومي:

للصراع القومي عدة أسباب:

السبب الأوّل: النزعة القومية:

هنـاك نزعـة عنـد الإنسـان نسـميها النزعـة القوميـة وهـي علـى مستويين، المستوى الأوّل مقبول، والمستوى الثاني مرفوض.

النزعة القومية على مستوى المحبة والولاء للقوم هذا مقبول، الإنسان يحبّ قومه كما يحبّ عشيرته هذا مقبول، النزعة على مستوى الولاء، لكن حينما تتطور هذه النزعة وتصعد إلى مستوى الاستعلاء على القوميات الأخرى ويرى أنه هو وقوميته الأفضل والأقرب والأكمل من القوميات الأخرى، هذا يسمى استعلاء، وهذا خطأ مرفوض.

النزعـة القوميـة حينمـا تصـل إلـى مسـتوى الاسـتعلاء ينـتج عنهـا الصـراع والحـروب وفـرض الهيمنـة وفـرض السـيطرة حيـث يجـد نفسـه الأعلـى، هـذا هـو السـبب الأوّل للصـراع القـومي، سـببه النزعـة القوميـة نزعة الاستعلاء القومي.

السبب الثاني: روح التسلط:

وهـي تتولـد عنـد الإنسـان حينمـا يطغـى حينمـا يكـون مطيعـاً للشـيطان، روح التسـلط ومصـادرة الآخـر والتسـلط عليـه، هـذه نزعـة شـيطانية قـد تنمـو عنـد الإنسـان وينـتج عنهـا حـروب وحـروب عالميـة بسـبب نزعـة السـيطرة، اليـوم مـا يجـري مـن حـروب فـي العـالم لـيس لـه مبـرّرات حقيقيـة وإنسـانية، إنمـا مبرّراتـه النزعـة القوميـة وروح والسـيطرة علـى الآخـرين وإلاّ فـلا يوجـد أيّ تفسـير للحـروب ولا يوجـد أي تفسـير للاستعمار غير هذه النزعة القومية وروح التسلط على الآخرين.

العلاج الإسلامي للنزعة القومية:

الإسـلام عـالج الصـراع القـومي لأن الإسـلام يـدرك أنّ هـذا أخطـر

المخـاطر التـي تعـاني منهـا البشـرية، الاقتتـال البشـري، الصـراع القـومي، لا بدّ للإسلام أن يرسم للصراع القومي حلاً.

ما هو الحل؟

عدة حلول وضعها الإسلام للصراع القومي:

أوّلاً: تهــذيب النزعــة القوميــة، الحــدّ مــن طغيانهــا، أن يحـب الإنسـان قومـه لا مـانع مـن ذلـك، لكـن أن يصـعد هـذا الحـبّ إلـى مسـتوى الاستعلاء على الآخرين أو استحقار الآخرين هذا يحتاج إلى تهذيب.

الحل الأوّل هو تهذيب الروح القومية عند الإنسان، أن يتربى الإنسان على أنه ليس أفضل من الآخرين حتّى إذا كان من حقه أن يتقرب إلى قومه ويحبّهم ويودهم، كما يسعى الإسلام من ناحية ثانية إلى إيجاد الولاء العالمي للإنسانية بشكل عام، ولهذا فإن القرآن الكريم طالما يخاطب فيقول: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، ﴿يا أَيُّهَا الإِنسانُ﴾، هنا فوق القوميات الضيقة توجد الإنسانية العالمية، الإسـلام يريـد أن يغـرس فينـا الـولاء للإنسـانية العالميـة حيـث يقـول الحـديث الشريف عن سيد المتقين أمير المؤمنين عليه السلام فيما هو مروي عنه: «الناس اثنان إما أخ لـك فـي الـدين وإمـا نظيـر لـك فـي الخلـق»[1] بـاقي النـاس حتّـى إذا لـم يكونوا من قوميتك أو من دينك فإنّهم يشابهونك في أنهم أناس وأنت أيضاً إنسان.

ثانياً: وضع مقاييس صحيحة للتفاضل:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ﴾[2] هذا هو المقياس الأوّل (التقوى).

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٨٤؛ تحف العقول للحراني: ١٢٧.

(٢) الحجرات: ١٣.

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[1] والمقياس الثاني (هو العلم).

لا يوجـد تفاضـل عرقـي بـين الشعوب هـذا العـرق أفضـل مـن ذلـك العـرق، إن هـذه القوميـة أفضـل مـن تلـك القوميـة، لا يوجـد مثـل هـذا، إنمـا التفاضل على أساس التقوى، وعلى أساس العلم.

ثالثـاً: احتـرام حقـوق القوميـات الأخـرى، ممتلكـاتهم كرامـاتهم، سـيادتهم، احتـرام ذلـك ولا يجـوز التعـدي علـى أيّ شـعب آخـر ومصـادرة ملكياته بأيّ عنوان كان.

هناك حديثان.

حديث يقول: «لا يحل مال امرء مسلم إلاّ عن طيب نفس منه».[2]

وهنـاك حـديث آخـر يقـول: «إنّ النـاس مسـلطون علـى أمـوالهم»[3] سـواء كـان مـن قوميتـك، مـن شـيعتك، مـن عشـيرتك، مـن دينـك، أو مـن قوميــة وديــن آخــر، النــاس مســلطون علــى أمــوالهم، احتــرام حقــوق الآخرين، الشعوب الأخرى ملكياتها وحرياتها.

رابعـاً: التعـاون بـين الشـعوب، وهـو مـا يسـمى اليـوم فـي المصـطلح السياسـي بالتعـايش السـلمي، الإسـلام يـدعو إلـى التعـايش السـلمي بـين الشـعوب ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا﴾[4] تعـايش سـلمي، تعـارفوا، تكـون بيـنكم صـداقة، بيـنكم مـودّة في الإطار الإنساني العام.

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) الغدير ٨: ١٢٩، الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) بحار الأنوار ٢: ٢٧٢؛ درر الأخبار: ٤٨، الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٤) الحجرات: ١٣.

خامساً: الإحسان للشعوب:

والأكثر من ذلك هي الدعوة للإحسان إلى الآخرين.

ليس فقط التعارف معهم إنما تُحسن للأقوام الأخرى وحتّى لأبناء الأديان الأخرى تُحسن لها وإن لم يكن من قوميتك ولا من وطنك ولا من عشيرتك ولا من دينك.

لاحظوا ماذا يقول القرآن الكريم: ﴿لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾[1] هؤلاء الذين لم يقاتلوكم من أتباع الديانات الأخرى فإن عليكم ان تبروهم وتحسنوا إليهم.

الإسلام يتقدم حتّى على نظرية التعايش السلمي، ويطرح نظرية الإحسان إلى الشعوب.

اليوم العالم أقصى ما وصل إليه، هو يطرح نظرية التعايش السلمي، لكن الإسلام وقبل ألف وأربعمائة عام طرح نظرية الإحسان للإنسانية، أن تكون باراً مقسطاً محسناً ليس على أساس النفعية وعلى أساس المصالح المادية، أن تنفع الآخر حتّى إذا كان من قومية أو دين آخر.

نظرية العولمة الغربية:

اليوم العالم الحديث يطرح معالجة أخرى للصراع القومي، تسمى بالعولمة بمعنى أن يكون العالم واحداً فلا صراع قومي، ان أصل النظرية هي معالجة لمشكلة الصراع القومي، لكن تعالوا أنظروا هذه العولمة على ماذا بُنيت؟

---

(١) الممتحنة: ٨.

العولمة الغربية لم تُبنَ على أساس التعارف بين الشعوب، ولا على أساس التعايش السلمي، ولا على أساس الإحسان إلى الشعوب، ولا على أساس احترام ملكيات الشعوب، ولا على أساس احترام تقاليد الشعوب وأديانها وإنما على أساس الهيمنة على العالم وفرض التقاليد والأعراف والرؤى والنظريات على كل العالم عبر استخدام القوة والهيمنة.

العالم الغربي يدعو للعولمة، لكن تعرفون ماذا يريدون بالعولمة؟ يقولون يعني أن يعيش الإنسان في كل العالم على الطريقة الأمريكية، هذا معنى العولمة الغربية، أن يعيش على طريقة (الماكدونالد) في أكله وطعامه وعلى طريقة (الباربي) في ملبس النساء هذه هي العولمة الغربية.

يعني أن يعيش العالم كله على طريق ووفق المقاسات الأمريكية، هذه عولمة، لكن هذه هي العولمة الظالمة، هذه هي العولمة البعيدة عن الإنسان، البعيدة عن احترام الشعوب، وإلاّ أيّ معنى لأن تصادر أديان الشعوب حتّى تقاليد الشعوب حتّى أساليب عيش الشعوب تصادر، حينما يتحدّثون عن العولمة هكذا يتحدّثون، أن يعيش الإنسان في العالم على الطريقة الأمريكية في مشيه في أكله في ملبسه في تقاليده، هذه هي العولمة.

أما الإسلام فإنّه قال: ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ تحترموا الشعوب بل تحسنوا إليهم، تقسطوا إليهم، الناس مسلطون على أموالهم، «الناس أثنان أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»،

وهكذا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. **الإسلام امتد إلى نصف العالم ولم يصادر كرامة الشعوب ولا حقوق الشعوب ولا ممتلكاتهم، ولا أعرافهم ولا لغاتهم ولا تقاليدهم إنما رسّخ فيهم حضارة إنسانية صحيحة، العبودية لله تبارك وتعالى، والعبودية لله وحده بعيداً عن أية نزعة قومية تفرض نفسها.**

* * *

المشكلة الحادية عشرة

الإضطراب الأمني

اليـوم نتنـاول مشـكلة مـن مشـاكل المجتمـع البشـري ثـمّ نطـرح مـا هي معالجة الإسلام لتلك المشكلة.

المشـكلة هـي الإضـطراب الأمنـي، وهـو مـا يسـمى اليـوم بالإرهـاب، فقدان الأمن في العالم.

فقـدان الأمـن مشـكلة كبـرى اليـوم،[1] وكانـت مشـكلة كبـرى ومـا

(1) جاء في جريدة بغداد العدد ١٣٢١/ ٤ آيار ٢٠٠٦ تحت عنوان:

١١/١١١ هجوماً ارهابياً في عام ٢٠٠٥:

تقريـر للأمـم المتحـدة ولـوزارة الخارجيـة الأمريكيـة تؤكـد فيـه ان أكثـر مـن ١٤/٦٠٠ شخص غـالبيتهم فـي العـراق، قتلوا فـي أكثـر مـن أحـد عشـر ألـف هجوم ارهابي في العالم خلال العام ٢٠٠٥.

وذكـر التقريـر السـنوي لـوزارة الخارجيـة الأميركيـة حـول الارهـاب ان هـذه الأرقـام تشكل زيـادة كبـرى عـن الأرقـام التي سـجلت السـنة الماضيـة (٦٥١ اعتـداء في ٢٠٠٤ مقابل ١١/١١١ في ٢٠٠٥) بسبب تغيير طريقة الاحصاء.

وأشـار التقريـر أيضـاً إلـى ارتفـاع عـدد العمليـات الانتحاريـة فـي ٢٠٠٥ العـام إلـى ٣٦٠ هجومـاً اسـفرت عـن سـقوط حـوالي ثلاثـة آلاف قتيـل أي حـوالي عشـرين بالمئة من الرقم الاجمالي.

وأفـادت أرقـام المركـز الـوطني لمكافحـة الارهـاب التـابع لوكالـة الاسـتخبارات المركزيـة الأميركيـة (سـي آي ايـه) ان حـوالي ٢٥ ألـف شـخص جرحـوا فـي اعتـداءات ارهابيـة. وبـين القتلـى والجرحـى الـ ٣٩ ألفـاً العـام الماضـي، هنـاك عشـرة آلاف و١٥ ألف مسلم معظمهم في العراق. وبين القتلى نحو ألف طفل.

تـزال، ولكـن العـالم الغربـي اليـوم بـدأ يطـرح المشـكلة هـل تعرفـون لمـاذا؟ لأن المشـكلة بـدأت تتجـه إليـه وإلـى عقـر داره، وإلا فـإنّ المشـكلة كانـت فـي بلادنـا منـذ مئـات السـنين عبـر العصـابات والـديكتاتوريات الحاكمـة والمدعمة من قبل الدول الكبرى في العالم.

وعلـى كـل حـال. اليـوم يشـترك العـالم، نحـن وغيرنـا نشـترك فـي مشـكلة حقيقيـة اسـمها الاضـطراب الأمنـي فـي الشـرق وفـي الغـرب فـي مجتمعاتنا الإسلاميّة وفي غيرها. في كل العالم موجود.

العالم كله يسغيث من فقدان الأمن.

ما هي أسبابه وما هي المعالجة الإسلامية له؟

أسباب فقدان الأمن:

١ ـ السـبب الإقتصـادي: الفقـر، الحرمـان، «كـاد الفقـر أن يكـون كفـراً»،[1] هـذا تشـخيص نبـي الرحمـة ومنقـذ الأمّـة رسـول الله ﷺ إن أوّل سـبب للاضـطراب الأمنـي هـو الحرمـان والفقـر الـذي يعـاني منـه الفقراء والمستضعفون، مما يدفعهم إلى نشر العدوان والإرهاب.

٢ ـ السـبب الأخلاقـي: السـقوط الأخلاقـي، الابتعـاد عـن القـيم الإنسـانية، الابتعـاد عـن فهـم حقـوق الآخـرين واحتـرام الآخـرين، هـذا يؤدي إلى انتشار عملية الإرهاب.

٣ ـ السـبب السياسـي: هنـاك عوامـل سياسـية ومجموعـات سياسـية وقفت وراء الإرهاب على طول التاريخ.

(١) الكافي ٢: ٣٠٧/ باب الحسد؛ الخصال: ١٢.

شـهادة إمامنـا أميـر المـؤمنين عليه السلام كـان وراءهـا أسـباب سياسـية، الخـوارج وهـم مجموعـة سياسـية منحرفـة وقفـوا وراء مقتـل إمـام العدالـة وسـيد المتقـين أميـر المـؤمنين، وهكـذا اسـتمرت الأسـباب السياسـية تلاحـق أئمّتنـا ومجتمعاتنـا الصـالحة وتلاحـق أوليـاء الله لـيس لأسـباب اقتصـادية ولا لأسـباب أخلاقيـة وإنمـا لأسـباب سياسـية. إذن اضـطراب الأمن والإرهاب يخضع لأسباب اقتصادية وأخلاقية وسياسية.

المعالجات الإسلاميّة:

هناك ثلاث معالجات يؤمن بها الإسلام:

١ ـ الحـل الوقـائي: يعنـي معالجـة تلـك الأسـباب، وقطـع عمليـة الإرهـاب مـن أصـولها، وهـذا يـتلخص فـي معالجـة الفقـر والقضـاء علـى التفـاوت الطبقـي الفـاحش، وانهـاء حالـة الحرمـان فـي المجتمـع الأخلاقـي هذه نسميها (الحلول الوقائية).

٢ ـ الحـل التصـحيحي والتربـوي: ذلـك ان الاعتـداء الأمنـي ينشـأ مـن عقـد وأمـراض نفسـيّة، وانحـراف فـي الوجـدان والضـمير، مثـال ذلـك السـرقات العالميـة اليـوم التـي تحولـت إلـى شـبكات منظمـة، تحولـت وعبـرت سـرقات الأمـوال والبنـوك إلـى تجـارة بأعضـاء البشـر إلـى سـرقات للبشـر إلـى تجارة بالبشـر، هـذا الغـرب الـذي يعيـب علـى التـاريخ الإسـلامي أنـه يقـرّ فكـرة العبيـد، اليـوم الغـرب يتعـاطى أخطـر تجـارة وهـي تجـارة البشـر والرقيـق ولكـن مـن دون عنـوان ومـن دون اسـم، يتعـاطى تجـارة تقطيـع أوصـال البشـر وبيعهـا للآخـرين، هـذا النـوع مـن العـدوان علـى أمـن النـاس ناشـئ مـن سـقوط أخلاقـي وفقـدان للـروح الإنسـانيّة الطيّبـة

والوديعـة. والإسـلام يـؤمن هنـا بضـرورة المعالجـة التربويـة لهـذه النفـوس المريضة.

هـذا الشـخص المنحـرف والمعتـدي يجـب أن يخضـع إلـى تصـحيح وتربيـة وإرشـاد ونصـح إن هـذا السـارق أو المجـرم هـو فـي الحقيقـة مـريض يحتـاج إلـى دواء، ولهـذا يجـب أن تتحـول السـجون إلـى مـدارس تربويـة وليسـت عقوبـة وهـذا هـو مـا نقـرؤه فـي آداب السـجون في الإسـلام، حيـث يـؤذن للسـجناء بالمشـاركة فـي صـلاة الجمعـة، ويـؤذن لهـم حتّـى فـي زيـارة أهلهـم ومنـازلهم. إن هـذا المـريض أخلاقيـاً يجـب أن تعاد صياغته الأخلاقية من جديد.

٣ ـ الحـل الصـارم: لكـن الإسـلام يـرى أنـه لا تكفـي الحلـول الوقائيـة ولا الحلـول التربويـة، بـل لا بـدّ مـن حلـول صـارمة وعقوبـات شـديدة كمـا فـي عقوبـة السـرقة حيـث قـال تعـالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ﴾[1] هـذا حـل صـارم حيـث لا يكفـي أن يـدلل السـارق فـي السـجن ويفـرش لـه فـي السـجن ويتحـول السـجن إلـى مدرسـة ترفيـه، لا، لـيس كـذلك، نعـم يجـب أن نعيـد صـياغة هـذا الإنسـان لكـن يجـب أن نمـارس الحـل الصـارم فـي الإسـلام ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾،[2] ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾.[3]

---

(١) المائدة: ٣٨.

(٢) البقرة: ١٧٩.

(٣) المائدة: ٤٥.

الغرب اليوم بدأ يعود إلى مشروع الإعدام كعقوبة، كان ذلك ممنوعاً في بعض دول الغرب واليوم بدأ يؤمن بضرورة عودة الحلول الصارمة ولا تكفي السجون التربوية.

لا بدّ من حلول صارمة، لأن آخر الدواء الكي، اليوم أصبحوا يطالبون بهذا القرار الإسلامي الذي شرعه الإسلام قبل (١٤٠٠) عاماً ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَيَاةٌ يا أُولِي الأَلْبابِ﴾.

الإسلام يقول قبل (١٤٠٠) عاماً: ﴿إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ﴾[1] **هذا نموذج الحلول الصارمة.**

* * *

---

(١) المائدة: ٣٣.

المشكلة الثانية عشرة

الجهل

تناولنا بحمد الله وبإذنه معالجة الإسلام لمجموعة مشاكل إنسانية كبرى واليوم نتناول مشكلة الجهل وهي مشكلة إنسانية تعاني منها الشعوب.

ما هو الجهل في الرؤية الإسلامية؟

وما هو في الرؤية الغربية؟

مشكلة الجهل:

الجهل في الرؤية الغربية وفي الحضارات غير الإسلامية عبارة عن الأمّية اللغويّة، أي (الذي لا يعرف أن يقرأ ويكتب)، والعالم اليوم يكافح الجهل، بمعنى أنه يكافح الأمية اللغويّة، يعني يحاول أن يعلّم الناس القراءة والكتابة، ويصبح الإنسان قادراً على أن يقرأ الصحف والجرائد والكتب وما شاكل ذلك، النافع منها وغير النافع، لكن في الإسلام الجهل شيء آخر وهو ما نصطلح عليه بالأمّية الثقافية، أي أنه يعرف يقرأ ويكتب لكنه جاهل وإن كان يحسن القراءة وكان مؤلفاً وأديباً وشاعراً، لكنه حينما يعيش فراغاً علمياً وأخلاقياً فهو جاهل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾.[1]

(١) الفرقان: ٦٣.

الجاهلون هم المنحرفون الظالمون سواء كانوا يعرفون القراءة والكتابة أم لا يعرفون.

القرآن الكريم يقول: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[1] فأي حكم غير إسلامي هو جاهلية حتّى وإن كان فيهم أدباء وشعراء وكتّاب، هو جهل وابتعاد عن الحق.

وفي آية أخرى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾[2] فأي ارتباط بغير الله هو جهل وليس علماً.

الأميّة الثقافية:

العالم اليوم يعاني من جهل كبير على مستوى الأمية الثقافية وإن كانوا يعرفون القراءة والكتابة، ولهذا فإن الإسلام كما يهتم بمواجهة الأمية اللغويّة يهتم بمواجهة الأمية الثقافية، لا بدّ من تثقيف الناس وتربيتهم وتعريفهم بالحق، وليس فقط أن يتعلموا القراءة والكتابة ثمّ هم في فكرهم ضالون منحرفون، هذه جاهلية.

العالم اليوم محكوم بالجاهلية الثقافية وعلى المستوى الأخلاقي غارق في الجهل الأخلاقي وإن سمّى نفسه متمدناً ومتحضراً، هذه هي الجاهلية، الجهل على المستوى القانوني العقائدي، إن العالم اليوم غارق في جاهلية ثقافية على مستوى هذه الأبعاد، والإسلام وحده هو المنقذ والنور والضياء الذي يخرج الناس من هذه الجاهلية الثقافية.

(١) المائدة: ٥٠.

(٢) الزمر: ٦٤.

معالجة الجهل و الجاهلية:

إن معالجة الغرب عبارة عن تعليم الناس القراءة والكتابة ثمّ تفتح لهم باب الثقافة المطلقة بلا توجيه وتأشيرات وإحداثيات، يقرأ ويكتب ما يشاء وثمّ لا يهم أن ينتهي إلى ضلال أو إلى حق، هذه هي المعالجة الغربية.

معالجة الإسلام لمشكلة الجهل:

أوّلاً: الانفتاح على التعليم والتعلم.

ثانياً: تحديد الثقافة الصحيحة، فلا يكفي أن نعلّم الناس القراءة والكتابة، وإنما نحدّد لهم ما هي الثقافة الصحيحة والحقيقية والأخلاق الصحيحة، اليوم الإعلام الغربي والقنوات الغربية مفتوحة لكل سقوط أخلاقي ولأبشع صور السقوط الأخلاقي والثقافي بعنوان الحرية والحضارة.

وحتّى في الصف الدراسي يمارسون عملية الجنس علنياً أمام الطلاب حتّى يتعلمها الطالب، ويمارسون الشذوذ الجنسي تلفزيونياً بعنوان أن باب العلم والفن والتحرر مفتوح للجميع.

أما الإسلام فإنه في الوقت الذي ينفتح على العلم والتعلم وتعليم القراءة والكتابة يحدّد الثقافة والأخلاق والقيم والمبادئ الصحيحة التي هي مجموعة في الإسلام وفي القيم الإنسانية الصحيحة الشريفة.

ثالثاً: تحديد مصادر التوجيه الصحيح.

الإسلام لا يقبل أن ينفتح الإنسان ليتلقى التوجيه من هذا المصدر وذاك، الإسلام يحدّد مصادر التوجيه الثقافي الصحيح المتمثلة بأولياء الله وعلماء الدين، ولا يترك للإنسان الباب مفتوحاً على مصراعيه لكي يتلقى ثقافته من أي مصدر كان.

جاء في الحديث:

قيل: يا رسول الله أيّ الجلساء خير؟

قال ﷺ: «من تذكركم الله رؤيته».[1] أي خذ الثقافة ممن يذكرك بالله.

* * *

(١) وسائل الشيعة ١٢: ٢٣.

المشكلة الثالثة عشرة
مشكلة الفراغ

اليوم نتناول مشكلة الفراغ لدى الإنسان.

أوقات الفراغ هي مشكلة في كل المجتمعات والأمم والحضارات فكيف يعرف الشاب وقته وكذلك الرجل والمرأة؟

ان مشكلة الفراغ تحتاج إلى علاج، وقد يغفل الناس والحضارات والمذاهب عن هذه القضية، ولا تتعامل معها على أساس انها مشكلة، ولكنها في الحقيقة مشكلة، تتولد عنها مشكلات أخرى، وتعتبر جواً مفتوحاً لاستقبال الأوبئة المختلفة، فكيف نملأ هذا الجو بالتعقيم حتّى لا نصاب تلك الأوبئة.

كيف نعالج إسلاميّاً هذه المشكلة؟

اليوم يحاول العالم وسياسات الدول ان تعالج هذه المشكلة، فيما يقدم الإسلام معالجة أخرى لهذه المشكلة.

منهجان لمعالجة المشكلة:

المنهج الأوّل: منهج الاستهلاك:

وهو المنهج الغربي المادي الذي يعمل على استهلاك ساعات الفراغ من خلال ايجاد مشاغل وأعمال دون نتيجة حقيقيّة.

المنهج الثاني: منهج الاستثمار:

وهو المنهج الذي دعا إليه الإسلام.

منهج الاستهلاك الغربي لساعات الفراغ يتضمن الألعاب والقمار ومشاهدة الأفلام الترفيهية والسياحة العابثة ومطالعة القصص الخياليّة وكتب الجنس وما شاكل ذلك مما لا يعود بأية جدوى ثقافية أو تربوية على الإنسان.

الهدف هو اشغال هذا الشاب واستهلاك ساعات فراغه.

المعالجة الإسلاميّة لمشكلة الفراغ هي المعالجة الاستثمارية لأوقات الفراغ رغم انّها ساعات استراحة، فالإسلام يدعو لجعلها استراحة واستفادة، الاستراحة المفيدة وليس العابثة.

لاحظوا البرامج التي وضعها الإسلام العظيم قبل ألف وأربعمائة عاماً كيف عالج بها هذه المشكلة التي لا زالت قائمة رغم تحضّر وتمدّن الإنسان.

أذكر هنا مجرد عناوين ذكرها الإسلام في المعالجة:

١ _ التزاور العائلي، أي صلة الرحم.

٢ _ توطيد العلاقات الإجتماعية عبر مجالس المحبة والسرور والصلات الطيبة بين الناس.

٣ _ السياحة الدينية كالحجّ، العمرة، زيارة المشاهد الشريفة، حيث يجب على الإنسان أن يحج مرة واحدة في العمر، لكن يستحب له أن يكرّر الحجّ والعمرة كل عام، ويزور النبي ﷺ والأئمّة الأطهار في كل عام، ويزور المشاهد الشريفة دائماً ما استطاع.

٤ _ المطالعة المفيدة والتثقف، فطالما دعا الإسلام وأئمّتنا خاصة لأن نتفقه في الدين، حتّى ورد في الحديث انه «لا خير في

امرئ لا يفرغ نفسه في الأسبوع يوماً واحداً للتفقه في الدين»، ان يوم الجمعة وهو يوم الاستراحة يدعونا الإسلام إلى أن نجعله يوم استفادة أيضاً ويوم قراءة القرآن والمطالعة الدينية.

٥ _ الألعاب والتسلية بما هو حلال.

الإمام عليّ عليه السلام يقول: «ليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلاّ في ثلاث: مرمّة لمعاش، أو خطوة في معاد، أو لذة في غير محرَّم».[1]

فالإسلام لا يمنع الألعاب الحلال والترفيه الحلال بكل صوره وتطوير اللياقات البدنية ومختلف الألعاب الرياضية، بل يشجع عليه ويعمل على استثماره.

وبهذا الصدد تسجل نقطة سوداء في جبين نظام الطاغية صدام حيث وزع جرائمه على كل الشعب العراقي حتّى على الرياضيين، فقد كان يتعامل معهم على أنهم أسرى بيده وليس أصحاب فنّ أو لياقة بدنية، يجب أن نفتح للرياضيين صفحة جديدة، إننا نفرح حينما نسمع خبر فوز لفريق عراقي رياضي سواء في كرة القدم أو الألعاب الرياضية الأخرى.

وليعرف شبابنا الطيبون إننا معهم في تطوير اللياقة البدنية والفنية، والإسلام يريد أن يفتح للإنسان فرصة للياقاته وتطويرها ثمّ استثمار ذلك في صالح التربية الروحية، وأنا أنتظر من إخواني في النوادي الرياضية المختلفة بمقدار ما يهتمون فنياً أن تتحول النوادي الرياضية إلى مدرسة فيها لمسة الدين ورائحته وذكر الله وبسم الله

(١) نهج البلاغة ٤: ٩٣/ قصار الحكم.

الرحمن الرحيم والقرآن الكريم والحمد لله وهذا أمر ممكن، حينئذ سيجعل الله تبارك وتعالى ذلك العمل عبادياً لأن الله كريم.

٦ _ النهي عن مجالس البطالين، فقد ورد عن الإمام السجاد عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي: «لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني»،[1] الإسلام ينهى أن نكون من البطالين أو أن نألف مجالسهم في أوقات الفراغ التي يجب أن تستثمر.

وفي وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام عليّ عليه السلام: «يا عليّ بادر بأربع قبل أربع: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك».[2]

* * *

(١) مفاتيح الجنان: دعاء أبي حمزة الثمالي من أدعية ليالي شهر رمضان؛ مصباح المتهجد: ٥٨٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٥٧.

المشكلة الرابعة عشرة
الاختلاف السياسي

مشكلة الاختلاف السياسي الموجودة في كل العالم وعلى طول التاريخ والذي يبلغ إلى حد الإطاحة بالشعوب والأمم والحضارات، وقد يصل إلى مستوى الضياع في الموقف، وقد يرتفع إلى مستوى الاقتتال والمعركة الداخلية.

الاختلاف السياسي في الوقت الذي هو ناتج طبيعي لتعدد الاجتهادات البشرية لكنه قد يتحول إلى مرض فماهي المعاجلة الإسلامية له؟

المعالجة:

حاولت الفلسفة الماركسية أن تعالج هذه المشكلة، كما قدّمت الفلسفة الغربية معالجة للمشكلة ولكن الإسلام يقدم معالجة أخرى للمشكلة.

أما المعالجة الشيوعية الماركسية فتتمثل بمبدأ الحزب الواحد ومبدأ دكتاتورية الحزب الواحد والقيادة الواحدة وقمع الآخرين، بما يعني الحياة للحزب الحاكم والموت للأحزاب الأخرى، رأي واحد مقبول والقتل للآخرين، هذه هي المعالجة الدموية الشيوعية للاختلاف السياسي.

أما المعالجة الغربية فهي نمط آخر يصطلح عليها بنظرية التعددية السياسيّة، أي فتح الباب لكل الأحزاب والجماعات السياسية والقيادات لتأخذ حريتها في العمل، وعبر هذا الانفتاح في العمل السياسي يمكن أن توجه المسيرة نحو الرأي الأفضل والقيادة الأفضل.

أمّا الإسلام فقد طرح معالجة أخرى هي الأكثر عملية وموضوعية وإنسانية وهي نظرية (التعددية السياسية والوحدة القيادية).

التعددية السياسية تعني أنه لا مانع من أن تتعدد الأحزاب والجماعات والاجتهادات السياسية، ورغم تعدد قياداتها ولكنها جميعاً يجب أن تخضع لقيادة واحدة، فهناك تعددية سياسية ولكن هناك وحدة قيادية، تعددية في الأحزاب والجماعات، ولكن لا بدّ من قيادة واحدة ينضوي تحت لوائها الجميع، هذه هي النظرية الإسلامية.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ﴾[١] فلا يحق لنا الاجتهاد أمام القيادة والإمامة وإنما هي قاعدة ﴿أَطِيعُوا﴾ وهي تعني الوحدة القيادية وليست التعددية القيادية.

حدود الاجتهاد السياسي:

إضافة إلى ذلك فإن الإسلام وضع حدوداً شرعية للاجتهاد السياسي:

الحدّ الأوّل: الطاعة للقيادة.

الحد الثاني: التعاون بين الجماعات والاجتهادات السياسية ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.[٢]

الحد الثالث: حرمة التنازع، ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.[٣]

* * *

(١) النساء: ٥٩.
(٢) المائدة:٢.
(٣) الأنفال: ٤٦.

المشكلة الخامسة عشرة

المشكلة الجنسية

اليوم نتناول مشكلة أخرى ونشرح كيف عالجها الإسلام وهي المشكلة الجنسية.

العلاقة بين الرجل والمرأة ليست مشكلة بالأصل، وإنما هي نعمة مَنَّ اللهُ بها على العباد، وفطرة فطرها الله تعالى في العباد، لكنها تحولت إلى مشكلة، للخطأ في كيفية التعاطي معها، مثل الرياضة التي يحتاجها البدن، لكن حينما يخطئ الإنسان في التعاطي معها فيصرف وقته في الليل والنهار للعب، ويبتعد عن الدراسة وعن الكسب والأهل والبيت حينئذ تتحول الرياضة إلى مشكلة، وإلاّ فهي في الأصل ليست مشكلة بل هي شيء مطلوب.

مناهج معالجة المشكلة الجنسية:

هناك ثلاثة مناهج للتعامل مع القضية الجنسيّة:

المنهج الأوّل: هو منهج الرهبانية:

وهو يعني منع هذه العلاقة إطلاقاً وإيصاد الباب عليها.

وهذا هو منهج التطرف المسيحي.

القرآن الكريم يندد بهذا المنهج ويقول: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[1] أي ان الله تعالى طلب منهم العفاف فحرفوه وجعلوه رهبانية باطلة.

(١) الحديد: ٢٧.

المنهج الثاني: هو منهج الإباحية الغربية:[1]

بمعنى أن هذه العلاقة الجنسية يجب أن تبقى بدون ضوابط تمنع من حرية الإنسان وإرادته. هذا هو المنهج الغربي الذي يفهم القضية الجنسية على أنها حاجة غريزية يتعاطى معها الإنسان في فضاءات مفتوحة وكما تفرضه شهوته الجنسيّة كما يتعاطى مع الحاجة إلى الأكل والنوم والصديق.

المنهج الثالث: هو منهج العلاقة الزوجية:

منهج العلاقة الزوجية الذي يقوم على أساس فهم القضية الجنسية باعتبارها حاجة إنسانية وليست حيوانية مؤقتة، الإنسان في طول العمر يحتاج إلى علاقة مع شريك حياته، ليس على أساس شهوة جنسية وإنما على أساس اشتراك في الحياة.

ولهذا فإن القرآن الكريم _ وما أروع تعبيره _ يقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[2] فليست القضية شهوة حيوانية تنتهي بدقائق، وإنما هي حاجة إنسانية كحاجة الإنسان إلى سكن دائم وملبس دائم.

منهج العلاقة الزوجية في حل المشكلة الجنسية، يعتمد على:

أوّلاً: تنظيم الأسرة.

ثانياً: التعجيل بالزواج.

(1) جاء في جريدة المشرق العدد ٦٨٨/ ١٥ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ تحت عنوان:
٣٠% من الأستراليين ليسوا الآباء الحقيقيين لأطفالهم:
وكانت دراسات قد أشارت إلى أن ٣٠ في المائة من الأستراليين ليسوا الآباء الحقيقيين لأطفال يعتقدون أنهم أطفالهم.

(٢) البقرة: ١٨٧.

ثالثاً: التقيد بالحدود الشرعية.

رابعاً: بناء التعامل البيتي العائلي على أساس الأخلاق الإسلاميّة.

نحن في العراق نعاني من المشكلة الجنسية، هناك الملايين من شبابنا وبناتنا وشاباتنا يعانون من المشكلة الجنسية نتيجة عهود القمع والاضطهاد والحروب والإرهاب والمطاردة والملاحقة.

ان من أعظم المشاكل الجتماعية في العراق هي المشكلة الجنسية، ونحن بحاجة إلى معالجتها من خلال المنهج القرآني، بناء العلاقة الزوجية، فرسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يتبع سنتي فإن من سنتي التزويج»[1] وقال ﷺ: «من تزوج أحرز نصف دينه»[2] هذا هو المنهج الإسلامي في مواجهة المشكلة الجنسية.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا ويعين مجتمعنا ويعين شبابنا وأهلنا جميعاً على مواجهة هذه المشكلة.

أنا أدعوكم أيها المؤمنون والمؤمنات إلى اتباع سنّة الله ورسوله، وما وصفه الإسلام من معالجات لمشاكلنا ومنها المشكلة الجنسية بدلاً عن المعالجة الغربية والتطرف المسيحي من خلال الرهبانية، نحن مدعوون للالتزام بالمعالجة الإسلاميّة الصحيحة لمشكلة الجنس والقضية الجنسية.

أدعوكم وخاصة الآباء والأمهات لتوفير الفرص لأبنائكم وبناتكم في هذا المجال، وأدعو الشباب والشابات أيضاً للاستجابة لدعوة رسول الله ﷺ وسنته الشريفة حينما قال: «فإن من سنتي التزويج».

---

(١) الكافي ٥: ٣٢٩/ باب كراهة العزوبة/ ح ٥.

(٢) الكافي ٥: ٣٢٩/ باب كراهة العزوبة/ ح ٢.

المشكلة السادسة عشرة

الفساد الإداري

إحدى مشاكل المجتمع البشري خاصة في هذا الزمان هي مشكلة الفساد الإداري الذي هو عبارة عن صور متعددة، التلاعب بالأموال، التقصير في خدمة الناس، الالتفاف على القانون، تعاطي الرشوة، نظام المحسوبيات والمنسوبيات، هذه كلها صور للفساد الإداري.

ما هي معالجة مشكلة الفساد الإداري التي يعاني منها المجتمع؟

نُظُم المعالجة:

هناك ثلاثة نظم لمعالجة مشكلة الفساد الإداري:

النظام الأوّل: نظام المراقبة الإدارية:

وضع مراقبين ومفتشين من أجل أن لا يبقى مجال للتلاعب بالأموال العامة عن طريق الرشوة والاختلاس والسرقة والاسراف والتبذير والاهمال. هذا النظام هو الذي تعمل به النظم السياسيّة في كل العالم.

النظام الثاني: نظام العقوبات الصارمة:

ورغم جدوى نظام المراقبة إلا أنه لا بدّ من نظام العقوبات التي تتوزع بين مستوى العقوبات الخفيفة والعقوبات الصارمة، التي تصل إلى حد الاعدام، وقطع اليد.

النظام الثالث: نظام الرقابة الذاتية:

ويقضي هذ النظام بالعمل على بناء الوازع الذاتي والضمير الاجتماعي لدى الإنسان حتّى يكون مراقب نفسه ومحاسبها.

أن يكون الإنسان في الإدارة والمدرسة والمعمل والشركة هو المراقب لعمله لانّ الله عليه رقيب، هذا هو نظام الرقابة الذاتية.

إذن صار لدينا ثلاثة أنظمة، الرقابة الإدارية، والعقوبات الصارمة، والرقابة الذاتية.

الإسلام يؤمن بضرورة اجتماع هذه الأنظمة والعمل بها جميعاً رغم أنه يعطي الأولوية الكبرى للمنهج الثالث، لنظام الرقابة الذاتية، يعني أن الإسلام يعمل على تربية الإنسان ليكون مراقباً لنفسه في أداء الخدمة للناس والمحافظة على الأموال العامة وعدم التلاعب بالقانون.

لذلك نجد الإمام عليّ عليه السلام ونحن نقف _ هنا في النجف الأشرف _ إلى جواره وفي ظلاله وتحت إشعاعات نوره، الإمام عليّ عليه السلام يكتب في عهده لمالك الأشتر الذي جعله والياً على مصر، يكتب له كتاباً يشرح له مسألة الرقابة الذاتية.

يقول عليه السلام: «هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ، جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَجِهَادَ عَدُوِّهَا وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِيْثَارِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ، ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ

تَقُولُ فِيهِمْ وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَامْلِكْ هَوَاكَ وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ».

أشعر قلبك أيها الوزير أيها المدرس أيها المدير يا صاحب الشركة يا صاحب الإدارة. أشعر قلبك الرحمة للرعية، الخدمة للناس والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً وأنت تجلس وراء الكرسي في الدائرة أو الوزارة أو الجامعة فالناس صنفان إما أخ لك في الدين وإما إنسان مثلك مظلوم ونظير لك في الخلق.

يجب أن تقضي حاجتهم وأن تكون جاداً فيما يستحق منك موقعك إذا كنت مديراً أو وزيراً... الخ.

«وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ».[1]

* * *

(١) نهج البلاغة: ٨٢ (عهده عليه السلام لمالك الأشتر).

المشكلة السابعة عشرة

انحراف السلطة

اليوم نستعرض مشكلة أخرى من مشاكل البشريّة ونسأل عن معالجة الإسلام لها.

مشكلة انحراف السلطة:

وهذه مشكلة عالمية ليست فقط في شعوبنا وإنما كل العالم يشكو من انحراف السلطة على مستوى الاستبداد والدكتاتورية، وعلى مستوى الاختلاس والسرقة والرشوة أو على مستوى الفساد الأخلاقي أو على مستوى عدم الكفاءة الإدارية وما شاكل ذلك، كل العالم يشكو من مشكلة انحراف السلطة.

بدءاً من أعلى موقع في الحكم وإلى المؤسسات والإدارات الدنيا، هذا المسؤول حينما يكون منحرفاً، من مسؤول الإدارة البسيطة وحتّى يصل إلى مسؤول البلاد، هذه مشكلة لأنواع الانحرافات المختلفة.

كيف نعالجها إسلاميّاً؟

سبل المعالجة:

هناك ثلاثة مواقف مع السلطة حين تنحرف:

الموقف الأوّل: هو التعاون معها.

الموقف الثاني: هو المداهنة معها.

الموقف الثالث: هو التغيير والتصحيح.

الموقف الأوّل: التعاون مع الظالمين، مع السلطة المنحرفة هذا موقف يتبعه الكثير من الناس فإنهّم على دين ملوكهم، حينما يكون الظالم سلطاناً يتعاون معه ضعفاء الإيمان ويجدون أنّ الحل هو أن يضعوا أيديهم مع هذا الظالم المنحرف المستبد، التعاون مع الظالم، مع السلطة المنحرفة هذا موقف يرفضه الإسلام حين يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.[1]

الموقف الثاني: المداهنة وهي على مستويين، الأوّل: التزلّف للسلطة المنحرفة، يعني أن تداري السلطان الظالم وتكون صديقاً له وقد نهى القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾.[2] هذا هو موقف المداهنة المحرّمة، الحكام المستبدون المنحرفون المرتشون السارقون يريدون أن تكون مداهناً معهم.

المستوى الثاني: الابتعاد عن مكر السلطة المنحرفة وابعاد شرّها والتلطف معها في القول والفعل من دون تعاون ولا صداقة، وهذا المستوى من المداهنة لا مانع منه، وهو صورة من صور التقيّة التي سمح بها الشارع المقدّس.

الموقف الثالث: هو موقف التغيير والتصحيح.

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) القلم: ٨ - ١٤.

إمامنا الحسين عليه السلام حركته بهذا الاتجاه عن الرسول صلى الله عليه وآله: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله».[1]

التغيير هو الموقف الصحيح تجاه السلطان الجائر، والحكمه المنحرف.

هذا الموقف يسمّيه القرآن الكريم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي هو مسؤولية الجميع، وضمن شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

جاء في الحديث الشريف: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر أو يستعملن عليكم شراركم ويدعو خياركم فلا يستجاب لهم».[2]

القرآن الكريم يقول: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.[3]

القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[4]

نحن مسؤولون جميعاً صغاراً وكباراً، علماء، كسبة، طلاباً،

(١) تحف العقول: ٥٠٥.

(٢) الكافي ٥: ٥٦، الحديث عن الرضا عليه السلام.

(٣) آل عمران: ١٠٤.

(٤) الرعد: ١١.

تجاراً، مسؤولون تجاه أي انحراف أن نقوم بدورنا في عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مسؤوليتنا أن ننهض ونرفع صوت ديننا وإسلامنا ووطننا.

مسؤوليتنا هي التغيير «وإلاّ يولّى عليكم شِرارُكم ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم».

* * *

المشكلة الثامنة عشرة
التفكك الإجتماعي

إنّ صـور هـذا التفكـك موجـودة فـي كـل دول العـالم، مـن تفكـك العلاقـات الأسـرية إلـى العلاقـات الرحميـة إلـى تقطـع العلاقـات الإنسـانية، وبلـغ الغـرب قمّـة هـذا التفكـك الإجتمـاعي بحيـث يعـيش الغـرب اليـوم ظـاهرة نسمّيها (ظـاهرة الفردانيـة) فكـل واحـد يعـيش لنفسـه وبنفسـه حيـث لا علاقـة لـه مـع الأب ولا مـع الأم ولا مـع الزوجـة ولا مـع الأقربـاء ولا مـع الأصدقاء والجيران ولا الطلاب في المدرسة ولا أبناء المحلة.

ظاهرة الفردانية:

إنّهـا ظـاهرة الوحدانيـة حيـث الجـار لا يعـرف جـاره خـلال عشـرة سـنين، والابـن لا يـزور أبـاه خـلال سـنوات، والـزوج إذا مرضـت زوجتـه لا يزورهـــا فـــي المستشـــفى، والصـــديق لا يعـــرف صـــديقه إلاّ لمصـــلحة شخصـية تجاريـة، وأمـا الأقـارب فـلا قرابـة أصـلاً، فتجـد الإنسـان فـي الغـرب يعـيش وحـده لـذلك نـراه يـأنس بـالكلاب ويصـادقها حيـث لا صـديق لـه ولا ابـن لـه ولا أخ لـه ولا ابـن عـم، هـذه هـي ظـاهرة الفردانيـة، تجـدهم فـي الشـارع والحديقـة لكـن قلـوبهم شـتى وأحـدهم لا يعـرف هـمّ الآخر، لا يعرف إلاّ مصلحة نفسه.

كـان هنـاك فـي دولـة السـويد شـاب سـويدي اعتنـق الإسـلام، وقـد

أجـروا معـه لقـاء صـحفياً حيـث كـان لاعبـاً مشـهوراً فـي كـرة القـدم فسـألوه: لماذا أسلمت؟

قـال لهـم: انـي مرضـت بالزكـام فلـم يزرنـي أحـد إلاّ شـخص مسـلم كان صديقاً لي وبقي يزورني، فسألته: لماذا تزورني؟

قال: هذه هي آداب الإسلام، فلما عرفت ذلك دخلت الإسلام.

لقد بلغ الغرب قمّة التفكك الإجتماعي بحيث يعجبون حين يرون _ المسلمين الذين هاجروا لتلك البلاد _ يأكلون سوية ويتحدثون بمحبة، لأنّه في الغرب حينما يدخل الزوج والزوجة إلى المطعم فإن كل واحد منهما يدفع نفقتـه، فـالزوج لا يـدفع نفقـة طعـام زوجتـه، فكيـف الصـديق؟ هـذا هـو أوج التفكك الاجتماعي الذي بلغُه الغرب.

أسباب التفكك الإجتماعي:

أهـمّ سبب لبروز ظاهرة الفردانيّة هو تنامي مبدأ النفعية الذاتية حيث يبحث الإنسان هناك عن منفعته الشخصية الذاتية، وتقييم كل الأمور على أساس المنفعة الشخصية. أنت تحبّ الأب على أساس كم تربح منه؟ الزوجة تحبّ زوجها على أساس كم تربح منه؟ ولهذا فهي تودّ أن يموت حتّى ترث أمواله وهكذا. لا توجد محبّة إلاّ للمنفعة الذاتية.

تَرسُّخ هذا المبدأ هو الذي أدى إلى التفكك الإجتماعي بأقصى صوره.

الحلول الغربية لمشكلة التفكك الإجتماعي:

أوّلاً: إطـلاق المصـالح والشـهوات الفرديـة إلـى مـا لا نهايـة حتّـى يحـاولون إشـباع الفراغـات عبـر المصـالح الجسـدية والشـهوات الأنانيـة،

الحدائق، السينمات، الشذوذ الجنسي، الرجال مع الرجال، النساء مع النساء، ومع الحيوانات وشرّعوا لذلك شريعة، الزواج مع الكلاب حيث لم يبق لهم ابن وزوجة ولا أم ولا صديق، يريدون اطلاق المصالح والشهوات إلى ما لا حد له.

الخمور، السكر، اللهو واللعب من أجل إشباع الفراغات.

هذه المعالجة فشلت وبقي الإنسان الغربي يعيش غريباً وهو يشرب الخمر لكي يخلص من أزمة حياته الفردانية.

ثانياً: التعويض بحضور الدولة، المحامي موجود إذا حدثت مشكلة بينك وبين زوجتك، الطبيب النفساني موجود إذا شعرت بالكآبة، التأمين الإجتماعي موجود إذا شعرت بشيء من الاضطهاد المالي، وهكذا في محاولة لكي تقوم الدولة مقام الأسرة والقرابة والعشيرة والجيران والمؤسسة الإجتماعية.

الغرب حين انتهى عندهم المجتمع وانتهت العلاقات الإجتماعية حيث لا أسرة ولا قرابة ولا أخوة ولا عشيرة ولا جيران لجأوا إلى الدولة، فتجد صفاً من البنات والشباب يبحثون عن الطبيب النفسي حيث لا أحد يخفف عنهم، لا أب ولا ابن ولا زوج ولا عالم دين، المؤسسة الإجتماعية حينما تلاشت فانتقلوا إلى الدولة لكي تملأ الفراغ، وهنا أيضاً لم يصلوا إلى نتيجة وما زالت ظاهرة التفكك الإجتماعي والفردانية تحكم الحياة الغربية.

الحلول الشيوعية لمشكلة التفكك الإجتماعي:

الحل الشيوعي هو تطرف في الاتجاه الآخر.

الحل الغربي كان يعتمد على الاطالة بالمؤسسة الاجتماعيّة واحياء

النزعة الفردية. أما الحل الشيوعي فهو يعتمد على الإطاحة بالاستحقاقات الفردية ومصادرة حقوق الآخرين وقتل الدوافع الفردية لصالح المؤسسة الاجتماعيّة. الانقلاب على القيم الأخلاقية أيضاً حيث لا أسرة ولا قرابة ولا رحم ولا جار ولا صداقة ولا محبة، قالوا انها قيم كاذبة اصطنعها البرجوازيون وهذه قيم رأسمالية فالعلاقة الزوجية هي قيمة رأسمالية، وعلاقة الابن مع أبيه هي خداع رأسمالي وهكذا مزّقوا كل دفاتر القيم الأخلاقية.

ثمّ شرّعوا شريعة مصادرة الاستحقاقات الفردية.

إنّ الفرد لا يملك أكثر من طعامه وملبسه ومكان نومه، فكل ممتلكات الآخرين يجب أن تصادر، والفرد بين أن يعمل جاداً أو يعمل غير جاد لا يأكل إلاّ بمقدار ما يشبع ولا يستحق إلاّ بمقدار ما يكسبه، مصادرة الاستحقاقات والكفاءات الفردية، حياة متساوية عبر المصادرة وتمزيق القيم الأخلاقية، أيضاً بدون محبة ووجدان وإنصاف ومودة بين الناس، وعاشوا مع الشيطان، مع الدنيا المظلمة التي ليس فيها المحبة والفطرة والوجدان، ولهذا عاشوا بؤساء بمعنى الكلمة.

الحلول الإسلاميّة لمشكلة التفكك الإجتماعي:

أمّا الحلول الإسلامية فهي تتلخص في ثلاثة مبادئ:

المبدأ الأوّل: السعادة الأُخروية:

أن يفكر الإنسان بأنّ دار الدنيا هي دار سفر وممر والآخرة هي دار مقرّ، ﴿وَمَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَسَعى لَها سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾.[1]

(١) الإسراء: ١٩.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾.[١]

مبدأ أن نفكر بالسعادة المطلقة الأخروية، حيث لا توجد في الدنيا سعادة مطلقة فلا بدّ من القناعة، ولا بدّ من الاعداد للآخرة.

المبدأ الثاني: التعويض الإلهي على الإحسان والايثار والتعايش الطيب مع الآخرين.

ان الإسلام لا يقمع التفكير بالمصالح الشخصيّة، بل يؤكد الاعتقاد بأن تقديم مصالح الآخرين يَصب في خدمة المصلحة الشخصية أيضاً من خلال قانون التعويض والثواب الإلهي.

فنحن حتّى حينما نفكر بمصالحنا الشخصية فإن العمل الصالح يحقق هذه المصلحة، فإنّ الصدقة فيها منفعة شخصية أيضاً. «صدقة السرّ تطيل العمر»، «صل رحمك يزاد في عمرك».

مبدأ التعويض الإلهي في الدنيا هو الذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾،[٢] **الله يعوضك، حتّى لو كنا ننطلق من منطلقات نفعية دنيوية، هنا يأتي مبدأ التعويض الإلهي في الدنيا قبل الآخرة.**

المبدأ الثالث: المحبة الإنسانية:

الإسلام يؤكد ان المحبّة للآخرين هي من أفضل الأعمال الصالحة، وبذلك يعمل الإسلام على تنمية الحب وبناء العلاقات الاجتماعيّة الطيبة والجميلة.

---

(١) البقرة: ٢٠١.

(٢) سبأ: ٣٩.

سئل رسول الله ﷺ: ما أوثق عرى الإيمان؟

فقال قائل: الصلاة، وقال آخر: الزكاة، ولكن رسول الله ﷺ قال: «أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله»[١] ليس لمصلحة مادية، الحبّ في الله، والبغض في الله، ترسيخ هذا المبدأ الإنساني هو الذي تألق به الإسلام العظيم، هو الذي رسخ المحبة بين الناس، بينما لم تعرف حضارة الغرب وحضارة الشرق شيئاً اسمه المحبة والمودة بين الناس.

* * *

---

(١) راجع نصّ الحديث في الكافي ٢: ١٢٦/ باب الحب في الله/ ح ٥.

المشكلة التاسعة عشرة

الحروب

اليوم نستعرض مشكلة أخرى من مشاكل الإنسانية هي مشكلة الحروب، سواء الحروب المحلية أو القبلية أو القومية أو العالمية.

إن الإنسانية على طول التاريخ عانت من حروب وقدّمت ملايين القتلى الأبرياء المظلومين، ودُمرت دول وشعوب وثروات في تلك الحروب، وهي إحدى المشاكل التي تعاني منها الإنسانية خاصة في هذا الزمان، حيث إن الحروب أصبحت تستنزف الطاقات الهائلة لثروات الشعوب من أجل الاستعداد للحروب ومن أجل إعداد القدرات العسكرية.

الحروب مشكلة إنسانية كبرى وحتّى تلك البلاد التي لا تعيش حرباً لكنها تذوق لظى الحرب من خلال تدمير ثرواتها من أجل الاستعدادات الدفاعيّة.

منشأ الحروب:

الحروب ذات منشأين:

المنشأ الأوّل: المنشأ المادي للحروب المتمثل بمحاولات التسلط على الآخرين والتوسع والاستعمار واغتصاب الثروات، ومحاولة كسب ثروات الشعوب الأخرى واستعبادهم والتسلط عليهم واستعمارهم.

المنشأ الثاني: هو المنشأ الاعتقادي، وهو ما يطلق عليه اسم الحروب الدينية، الحروب الصليبية مثلاً التي استغرقت ثلاثمائة عاماً وذاق المسلمون والمسيحيون ويلاتها قد تصنف على أساس إنها حروب اعتقادية دينية، كذلك معارك وحروب إسرائيل ضد العالم الإسلامي هي حروب يمكن تصنيفها على أساس إنها معارك وحروب دينية أيضاً.

إسرائيل التي تفكر بالسيطرة على العالم الإسلامي والامتداد بالدولة الصهيونية، هذه قد نسميها حروباً ذات مناشئ اعتقادية أو دينية.

معالجات الحروب:

المعالجات الإسلامية للحروب من النوعين ذات المناشئ الدينية وذات المناشئ المادية هي:

أوّلاً: الإسلام أسس قاعدة سيادة الناس والشعوب على أموالهم وأوطانهم، قاعدة «الناس مسلطون على أموالهم»،[1] كل إنسان مسلط على أرضه وماله وكل شعب مسلط على بلاده وأرضه وثروته ولا يحق لأي إنسان آخر ولأي شعب آخر أن يتوسع ويتسلط على الآخرين، بقطع النظر عن الهوية الدينية.

الناس كل الناس وليس فقط المسلمون مسلطون على أموالهم، ولهذا يقول فقهاؤنا انه لا يجوز لك أبداً أن تمدّ يدك لأموال غيرك بعنوان أن هذا غير مسلم أو كافر حتّى إذا كنت في بلاده.

الإسلام يمنع حالات التسلط ويعتبرها عدواناً ثمّ يقول: ﴿إِنَّ اللَّـهَ

(١) بحار الأنوار ٢: ٢٧٢/ ح ٧.

لا يُحبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[١] هذا عن المناشئ المادية التي يقطع الإسلام جذورها ولا يسمح بها إطلاقاً.

أما المناشئ الاعتقادية، فهل يقبل الإسلام بالحروب الدينية؟

هل يقبل الإسلام بالحروب القائمة على أساس التوسع الديني؟

ما هي النظرية؟

أنا هنا أكتفي بذكر العنوان وأعتقد أن هذا بحث فقهي مهم يستحقّ تداوله في أبحاثنا الفقهية.

نقول على سبيل الإجمال إن الإسلام يرفض القتال والحروب على أسس دينية واعتقادية إلاّ في حالة واحدة وهي حالة مواجهة الاعتداء والظلم ومصادر الفتنة.

أنظروا إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ﴾[٢] فهذه الآية تؤسس قاعدة لردّ العدوان.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.[٣]

أما قوله تعالى: ﴿وَقاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[٤] فهنا تأسيس لقاعدة أخرى هي مواجهة مصادر الفتنة ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.[٥]

---

(١) البقرة: ١٩٠.

(٢) البقرة: ١٩٤.

(٣) البقرة: ١٩٠.

(٤) البقرة: ١٩٣.

(٥) السابق.

ويقول تعالى: ﴿وَما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها﴾.[١]

يعني دافعوا عن الناس الذين يتعرّضون إلى الظلم.

الإسلام في هذه الحالة، حالة مواجهة الظلم والعدوان والفتنة يجيز الحرب والقتال، أما على في غير ذلك وفي غير هذا الإطار فإن الإسلام يدعو للحوار وللجلوس على مائدة واحدة حتّى مع أهل الكتاب والأديان الأخرى، أنظروا ماذا يقول تعالى: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.[٢]

نحن نتنازل حتّى عن الإيمان بالإسلام وبالقرآن، ولكن آمنوا بالله ولا تعتدوا ولا يتخذ بعضكم بعضاً أرباباً، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.[٣]

حتّى مع أهل الكتاب فإن الإسلام يشرّع الحوار والبحث العلمي بدل القتال والسلاح، هذا هو الموقف من الأديان الأخرى، وهذه هي المعالجة الإسلامية لقضية الحروب.

* * *

---

(١) النساء: ٧٥.

(٢) آل عمران: ٦٤.

(٣) السابق.

المشكلة العشرون
الكآبة

أحـد المشـاكل التـي تعـاني منهـا الشـعوب هـي مشـكلة الملـل والضجر والبؤس والسأم وهو المعروف اليوم بمرض (الكآبة).

كثير من الناس[1] الشبان والشابات، مؤمنين ومؤمنات فضلاً عن غيرهم حين تسأله عن حاله يقول انه كئيب وغير مرتاح، ولديه ضجر وملل، هذه مشكلة حقيقية ونفسية رغم أنه يمتلك الأموال والبيت والدراسة والعمل ولكنه غير مستريح ويشعر بالملل والضجر، هذا في مجتمعاتنا الإسلاميّة الشرقية، فكيف إذا ذهبت إلى مجتمعات الغرب، ستجد أن الملل والضجر والسأم تحوّل إلى مشكلة عظمى في العالم الغربي، فالشباب والناس رغم كل ما عندهم من إمكانات يشعرون بالضجر، عندهم ملل.

---

(1) جاء في جريدة المشرق العدد ٧١٤ لعام ٢٠٠٦ تحت عنوان:
الاكتئاب يطارد ٥٠٠ مليون إنسان في العالم:
تقدر إحصائيات منظمة الصحة العالمية عدد مرضى الاكتئاب في العالم بأنه يزيد على ٥٠٠ مليون شخص وتشير إلى أن نسبة انتحار الاكتئاب تصل إلى ٧% من سكان العالم.
ويعتبر الاكتئاب النفسي السبب الرئيس في معظم حالات الانتحار، وهناك فرق بين الأزمات النفسية والاجتماعية التي تؤدي إلى التفكير في الانتحار كحل للهروب من الأزمات ومن أهم الاضطرابات النفسية التي تؤدي إلى الانتحار يأتي الاكتئاب في المقدمة. وتشير الأرقام إلى عدد حالات الانتحار في العالم يصل إلى ٨٠٠ ألف حالة سنوياً حسب تقديرات منظمة الصحة العالمية.. ففي الولايات المتحدة وحدها وصل عدد حالات الانتحار إلى أكثر من ٢٣٠ ألف حالة انتحار سنوياً بمعدل شخص ينتحر كل ٢٠ دقيقة أو ٧٥ حالة انتحار يومياً.

تعـالوا ننظـر فـي هـذه المشـكلة كيـف يعالجهـا الغـرب والحضـارة الغربية؟ ثمّ كيف يعالجها الإسلام؟

الحل الغربي:

يبتني الحل الغربي على أساس إهمال العلاقات الاجتماعية وعدم الاكتراث بها، والعمل على إشباع الشهوات، إذا كنت تشعر بالضيق في البيت فاقطع العلاقة مع البيت، وإذا كنت تشعر بالضجر من الزوجة فاقطع العلاقة مع الزوجة، وهكذا مع الأب والأم والمدرسة والدائرة، قطع العلاقات وإشباع الشهوات، إن الشائع اليوم في الغرب للتغلب على الملل والضجر هو عبارة عن تبديل الأعمال والمنازل والدوائر والزوجات.

أساس الحل الإسلامي:

أمـا الإسـلام، بعـد أن اكتشـف أن السـبب فـي هـذا المـرض هـو عبـارة عـن بنـاء العلاقـات علـى أسـس خاطئـة، فالحـل هـو بناؤهـا علـى أسـس صـحيحة، فحينمـا تكـون عنـدك مشـكلة مـع الأب فـإن السـبب فـي غالـب الأحـوال هـو أنّ العلاقـة كانـت مبنيّـة علـى أسـس خاطئـة فعليـك أن تعـدل هـذه العلاقـة سـواء مـن طرفـك أو مـن طـرف الأب نفسـه، وحينمـا تكـون لـديك مشـكلة مـع الزوجـة فأصـل المشـكلة هـي أن العلاقـة مبنيـة على أسس خاطئة فعليك تعديل أسس العلاقات.

القـرآن الكـريم أعطانـا خطـاً عريضـاً وهـو مـا نسـمّيه بالأسـس حيـث يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾.[1]

---

(١) طه: ١٢٤.

معيشة البؤس والملل، فأينما يدور الإنسان بدون ذكر الله فان له معيشة ضنكاً ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾،[1] انّ مجرد تبديل محل العمل أو تبديل البيت أو الوطن أو الزوجة لا يحل المشكلة طالما هي مبنيّة على أساس الأنانية وأسس نفعية وأسس الهوى واتباع الشيطان، أما إذا بنينا هذه العلاقات على أسس إنسانية صحيحة حينئذ تسعد أنت والبيت والمدرسة والدائرة وهكذا.

المعالجات الإسلاميّة لمشكلة الكآبة:

وإذا كان الحل إسلامياً هو تكوين أسس صحيحة لحياة الإنسان فإن الإسلام يضع وبنحو تفصيلي مجموعة معالجات للمشكلة نشير إلى أهمها:

١ ـ العمل: وذلك بأن يكون الإنسان عاملاً بدلاً من البطالة وحضور مجالس البطالين التي هي أهم أسباب الملل، وعلى ذلك فإن الدولة في الإسلام مسؤولة عن توفير فرص العمل لأبناء المجتمع.

٢ ـ الغنى: فالفقر هو أحد أسباب الملل والسأم من الحياة، والإسلام يدعو إلى الغنى والتخلص من الفقر، والدولة مكلّفة أيضاً بتوفير النفقة للناس الضعفاء، مسؤولة عن إعطاء العاطلين عن العمل نفقاتهم الحياتية في النظام الإسلامي.

٣ ـ العبادة والاتصال بالله: قال تعالى: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.[2]

(١) طه: ١٢٤ - ١٢٦.

(2) الرعد: ٢٨.

٤ ـ العلم والتعلم: عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ان معلم الخير يستغفر له دواب الأرض وحيتان البحر وكل ذي روح في الهواء وجميع أهل السماء والأرض وان العالم والمتعلم في الأجر سواء يأتيان يوم القيامة كفَرَسَيْ رهان يزدحمان»[1] يعني ان العالم والمتعلم يتسابقون للجنّة، لهذا فإن الإسلام يدعو للمطالعة والدراسة النافعة والثقافة وتفسير القرآن وقراءة التاريخ وهكذا.

٥ ـ الزواج الصالح: جاء في الحديث الشريف: «ثلاثة لا يحاسب عليهنّ المؤمن: طعام يأكله ولباس يلبسه وزوجة صالحة تعاونه»[2] لمواجهة الملل والسأم والضجر تكون إحدى قنوات التخلص من هذه المشكلة هي الزوجة الصالحة والزوج الصالح.

٦ ـ بناء علاقات إجتماعية صحيحة: مع الأهل والأرحام والأبوين والأبناء والجيران والأصدقاء، وليست علاقات المقاهي ودور الطرب واللهو.

٧ ـ خدمة الاخوان: وقضاء حاجاتهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا فإن الحديث جلاء للقلوب»[3] أي أن القلوب المتصدئة جلاؤها الحديث، وليس الأفلام والسهرات في الباطل، جلاؤها الحديث بين الأصدقاء ومجالس المؤمنين.

(1) بصائر الدرجات: ٢٣.

(٢) وسائل الشيعة ١٦: ٤٤٥/ ح ٤.

(٣) الكافي ١: ٤١/ باب سؤال العالم وتذاكره/ ح ٨.



قال الإمام الباقر عليه السلام: «لمجلس أجلسه إلى من أثق به أوثق في نفسي من عمل سنة».[(١)]

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما اجتمع ثلاثة من المؤمنين فصاعداً إلا حضر من الملائكة مثلهم، فإن دعوا بخير أمّنوا وإن استعاذوا من شرّ دعوا الله ليصرفه عنهم وإن سألوا حاجة تشفّعوا إلى الله وسألوه قضاها».[(٢)] هذا فضل المجالس بين المؤمنين، انّ الملائكة يؤمّنون ويشفعون ويسألون قضاء الحاجات للمؤمنين.

إمامنا الصادق عليه السلام يقول: «والله لرسول الله أسرّ بقضاء حاجة المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة».[(٣)]

المجتمع حينما يُبنى على هذه الأسس الصحيحة فإنه سوف لا يعرف طريقاً للملل والسأم.

* * *

(١) الكافي ١: ٣٩/ باب مجالسة العلماء/ ح ٥.
(٢) الكافي ج ٢ / ١٨٧/ ح ٦ باب تذاكر الاخوان.
(٣) الكافي ٢: ١٩٥/ ح ١٠/ باب قضاء حاجة المؤمن.

المشكلة الحادية والعشرون

الإحباط

ما يعاني منه بعض الأفراد وتعاني منه بعض الشعوب والمجتمعات هو أن يقول الفرد عن نفسه إنّه فاشل، أيّ مكان اشتغلُ لا أصِلُ إلى نتيجة، وهناك شعوب تلقّن نفسها إنها شعوب غير متحضّرة وفاشلة يجب أن تُحكم ويجب أن تُستَعبد.

هذا الشعور بالفشل يكون مرّة على مستوى الفهم الفردي ومرّة على مستوى الفهم الإجتماعي.

اليأس والقنوط:

قد يصاب الإنسان الفرد وقد تصاب أمّة كاملة بهذا المرض، وهو (حالة الإحباط)، وهذا هو الذي يسمّيه القرآن الكريم اليأس من رَوح الله.

لاحظوا إن هناك فرقاً بين اليأس من رحمة الله، وبين اليأس من رَوح الله، رَوحُ الله هو غير رحمة الله.

أن يكون الإنسان قانطاً من رحمة الله وهذا من كبائر الذنوب يعني يائساً من المغفرة والرحمة الإلهية، وهناك شيء آخر هو الذي يتحدث عنه القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام حينما بعث يعقوب أولاده إلى مصر ليأتوا بطعام، ماذا أوصاهم؟ قال: ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾.[1]

(١) يوسف: ٨٧.

رَوحُ الله يعني عطاء الله، التوفيق، النجاح، البركة حتّى في العمل التجاري.

اليأس من رَوح الله نسمّيه اليوم (الإحباط)، وهو مرض قد يُصيب كثيراً من الناس، بل أمماً لقنوها بأنّها فاشلة وغير متحضّرة فيجب أن تكون مُستعبدة.

المعالجات الإسلاميّة لمشكلة الإحباط:

هناك معالجة مشتركة تدعو لها كل المناهج في معالجة الشعور بالفشل والإخفاق حيث توصي بالمثابرة والصبر وتكرار التجربة بتبديل موقع العمل.

العالم الغربي والشرقي في مواجهة روح الفشل ماذا يصنع؟ يعمل على أن يكون الإنسان صبوراً يجدد التجربة مرّة ثانية وهكذا، لكن الإسلام يعطي إضافة أخرى مهمة جداً في مواجهة الشعور بالفشل والإخفاق واليأس من رَوح الله تتمثل بعدة أمور:

الأوّل: زرع الثقة بالله والتوكل عليه:

وأنه القادر على كل شيء، إنك أيها الإنسان مرتبط بسبب لا حدّ لقدرته، هو الله فكن على ثقة به متوكلاً عليه حتّى إذا انقطعت بك الأسباب الطبيعية، لا يوجد عمل ولا محل ولا أموال ولا معيل، كلها لو انقطعت كن على ثقة بأن الله معك، وتوكل عليه، هذا المفهوم ليس موجوداً لا في الحضارة الغربيّة ولا في الحضارة الشرقية، هذا مفهوم يؤكده الإسلام.

وهذا يعقوب قال لأولاده: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾.[1]

(١) السابق.

المؤمن الواثق بقدرة الله المطلقة فانه لا يمكن أن يصيبه اليأس، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾،[1] كل الأبواب لو أغلقت أمامه، يوجد باب آخر هو ذلك الذي لا يحتسبه ولا يفكر به، هو باب القدرة المطلقة لله تبارك وتعالى.

الثاني: ترسيخ روح العزّة لدى الإنسان:

أنقل لكم رواية يرويها الإمام الصادق عليه السلام يقول: رجل فقير كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ضاقت به السبل.

قالت له زوجته: يا فلان اذهب إلى رسول الله واسأله أن يعطيك.

فجاء الرجل المسكين وقف أمام رسول الله وبمجرد أن رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال مبادراً: «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله».

فقال الرجل في نفسه: إنّ النبي يقصدني في كلامه فانسحب ولم يسأل. مرة أخرى وفي اليوم الثاني قالت له زوجته: يا فلان، اذهب إلى الرسول واسأله، فجاء في اليوم الثاني وبمجرد أن رآه رسول الله أيضاً قال: «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله».

يقول الرجل: قلت: إنّ رسول الله يعرف ما في قلبي فانسحبت.

في اليوم الثالث أيضاً ذهبت إلى رسول الله وبمجرد أن وقفت أمامه قال: «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله».

قلت: انسحب وأبحث عن عمل فرسول الله يعرفني ولا يسمح لي بالسؤال في هذا الطريق.

يقول: رجعت واستعرت معولاً (فأساً) وذهبت إلى الجبل واحتطبت

(١) الطلاق: ٢ - ٣.

حطباً وبعته، في اليوم الثاني كذلك، في اليوم الثالث كذلك فربحت أموالاً، فأرجعت المعول إلى صاحبه واشتريت معولاً، وفي اليوم الرابع والخامس دفع الله عني الفقر ورجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وحكيت له القصة، فقال صلى الله عليه وآله: «ألم أقل لك: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله»[1] لا تيأسوا من روح الله واعتمدوا على الله يفتح لكم.

هذه هي خصوصية ترسيخ العزة والكرامة عند الإنسان وأن لا يمدّ يده للسؤال والاستجداء، بل يكون عزيز النفس.

جاء الأنصار إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسألوه أن يضمن لهم الجنّة، مثلكم أنتم الآن لو كنتم في زمن النبي لسألتموه الجنّة.

فقالوا: يا رسول الله نريد منك أن تضمن لنا على الله الجنّة، فلم يرفض طلبهم ولكن قال: «على أن لا تسألوا أحداً شيئاً»[2] بشرط أن تكونوا أعزاء متوكلين على الله ولا تمدوا يدكم للسؤال من هذا وذاك، هذا هو ترسيخ مبدأ الاعتماد على النفس وعدم استرخاص الكرامة وبيع ماء الوجه للآخرين.

نحن اليوم بحاجة إلى مواجهة حالات الإخفاق.

إن العالم الاستكباري يقول لشعوب العالم الثالث أنتم غير قادرين على النجاح ولا على التحرك ولا على التقدم إلاّ بالاعتماد علينا، أنتم لا تملكون القدرات التي نملكها نحن فتعالوا اعتمدوا علينا، لكن الإسلام يقول: «على أن لا تسألوا أحداً شيئاً» اعتمدوا على

(١) راجع: الكافي ٢: ١٣٨.

(٢) الكافي ٤: ٢١/ باب كراهة المسألة/ ح ٥.

أنفسكم ولا تهابوا ما يسمّى اليوم بالحصار الإقتصادي الذي تُهدد به الشعوبُ أحياناً، بل لا تفرحوا بالمساعدات الإقتصادية التي تقدم لكم وهي في أحيان كثيرة عبارة عن بدايات التسلط والهيمنة بحجّة المساعدات الإقتصادية فتزرع في الإنسان حالة الاتكال على الآخرين وهنا يقول رسول الله ﷺ: «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله».

يقول الإمام الباقر عليه السلام في رواية جميلة جداً، يقول عليه السلام: «اقسم بالله ما فتح رجلٌ على نفسه باب مسألة إلاّ فتح الله عليه باب فقر»[1] لاحظوا المعنى، وهذا إنذار من الإمام الباقر عليه السلام، يزداد فقر الإنسان كلما اعتمد على الآخرين ومدَّ لهم يد السؤال. وعلى عكس ذلك كلما اعتمد على نفسه ووثق بالله فإنه سيرزقه الله تبارك وتعالى الغنى.

* * *

(١) عدة الداعي: ابن فهد الحلي /٨٩.

المشكلة الثانية والعشرون

التفاوت الطبقي

إحدى المشكلات التي يعاني منها العالم هي مشكلة التفاوت الطبقي، حيث هناك طبقة متخمة بالغنى وهناك طبقة فقيرة ترزح بالفقر، هناك قصر إلى جانب خربة وكوخ.

هذه المشكلة موجودة في كل العالم، الغربي والشرقي والإسلامي وغير الإسلامي.

الاشتراكية حاولت أن تعالج مشكلة التفاوت الطبقي بسلب الثروة من الأغنياء، قالت: لا نسمح أن يكون هناك تفاوت طبقي بين فقير وغني، وذلك بأن نأخذ الثروة من الأغنياء.

الرأسمالية التي تؤمن بنظام السوق الحرّة لم تمانع من التفاوت الطبقي وقالت: إنّها قضيّة طبيعية نتيجة مبدأ الحرية والسوق الحرة، لا مانع أن يكون هناك كوخ مليء بالبؤس وهناك قصر مشيّد مليء بالثروة والرفاه.

أمّا الإسلام فإنه يرفض التفاوت الطبقي الفاحش ولكن التفاوت المعتدل لا مانع منه، حتّى يحافظ على درجة الحرية واندفاع الناس نحو العمل، ولكن على أن لا يكون تفاوتاً فاحشاً، فالإسلام لا يسلب الأغنياء ثروتهم.

الردّ على الاشتراكيّة:

وأذكر هنا مثالاً لطيفاً جيداً للشهيد المظلوم آية الله السيد محمّد مهدي الحكيم رضوان الله عليه حينما ذهب إلى بلاد الباكستان، _ وكان يومئذ قد اكتسح الباكستان موج الاشتراكية _ في اجتماع صحفي علمي كبير سألوه: ما الفرق بين الإسلام والاشتراكية؟

قال: في ذلك الوقت لم أستطع أن أطعن بالاشتراكية، لأنّ الجوّ الثقافي كان يتصور أن الاشتراكية هي الإسلام، ولا يوجد فرق بينهما، فبدأت أضرب لهم مثلاً حتّى أوضّح لهم الفرق بين الإسلام والاشتراكية، لاحظوا هذا المثال على لسان عالم من العلماء كيف يوضح الحقيقة.

قال: اضرب لكم مثالاً: لدينا رجل له عين سالمة وأخرى معيبة، أي أنه يرى بعين واحدة، هذه حالة غير متساوية، ونريد أن نعمل المساواة بين العينين هنا تأتي الاشتراكية إلى العين السالمة وتفقأها فتعمى عيناه، وبهذا تتم المساواة، أما الإسلام فإنه يأتي للعين المعيبة فيصلحها حتّى يرى بعينيه، الاشتراكية تأتي للغني وتأخذ أمواله ليكون المجتمع كله فقيراً وهذه مساواة في الفقر، بينما الإسلام يأتي للفقير ويأخذ بيده ويرفعه فيكون غنياً وبذلك تحقق المساواة، وهذا هو الفرق بين الإسلام والاشتراكية.

الإسلام يرفض التفاوت الطبقي الفاحش لكن لا بالطريقة الاشتراكية ولا بالطريقة الرأسمالية.

الإسلام يدعو إلى الزكاة الواجبة والانفاق المستحب ويدعو

إلى القناعة والزهد والايثار وحرمة الاكتناز ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] **الإسلام يجعل الدولة مسؤولة أن تضمن للفقراء معيشتهم وعملهم، وبالتالي لا يكون هناك تفاوت طبقي فاحش، والحديث في هذا الشأن واسع.**

* * *

(١) التوبة: ٣٤.

المشكلة الثالثة والعشرون
اتّباع الهوى

إحدى مشاكل الانسان الكبرى هي (اتّباع الهوى)، الطيش، الشهوات، والغرائز النفسية، وهذه المشكلة هي أصل مشاكل الإنسان، فما دخل الناس في جهنم إلاّ لاتّباع الهوى.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.(1)

ما هي معالجة الإسلام للمشكلة؟

ما هي رؤية الإسلام تجاه قضية الهوى، وما هي المشكلة أوّلاً؟

نستطيع أن نلخص الرؤية الإسلاميّة في أصل المشكلة وفي معالجتها بالأمور التالية:

١ ــ توجيه الهوى:

ليست المشكلة في أصل الهوى وإنما في اتّباع الهوى، فالهوى بمعنى الدوافع النفسية هو حق، وأمرٌ خلقه الله سبحانه وتعالى وأودعه عند الإنسان، فله شهوة أن يأكل ويشرب وينام ويملك وما شاكل.

ان الإنسان لا يفكر فقط بعقله وإنما يعمل بدوافعه النفسية أيضاً

(1) النازعات: ٣٧ - ٤١.

وبدون ذلك لا يمكن للحياة أن تستقيم، المشكلة إذن هي في الانقياد المطلق لتلك الدوافع، وجعلها هي الموجّه والقائد لمسيرة الإنسان بدلاً عن العقل والقيم الدينية والأخلاقية والمصالح الإجتماعية والإنسانية.

ولهذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان اتّباع الهوى وطول الأمل».(1)

وإذا كانت الأهواء النفسية هي أمر حق فإنها تحتاج إلى توجيه صحيح وهو ما يعبر عنه القران بـ (الهدى).

لدينا هوى ولدينا هدى، ونحن يجب أن نمشي على الهدى، يجب أن يخضع الإنسان للهدى، الهوى هو بمثابة الوقود في السيارة فلا مشكلة في الوقود، بل هو الطاقة المحركة للسيارة وإنما المسألة هي كيف نوجه هذه الطاقة؟

الماء النازل من السماء، ومن قمم الجبال إذا ترك بدون سدود ومجاري وقنوات وأنهر، يصير فيضاناً، ويسبب الغرق، فالمهم هو تنظيم مسالك هذا الماء، ولهذا فإن الإسلام في معالجة الهوى يدعو إلى تهذيب الهوى وليس إلى قمعه.

الإسلام يدعو إلى أن يكون الحق والعدل هو الحاكم على الهوى وهو الموجّه لهذه الطاقة الإنسانية.

القرآن الكريم يقول: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾(2) لا يجوز أن تنحاز لإنسان رغم انه على باطل لمجرد انك تحبه، فهذا

(1) نهج البلاغة ١: ٧٢/ الخطبة ٢٨ وص ٩٢/ الكلام ٤٢.

(2) ص: ٢٦.

يعني الهوى، بل لا بدّ من تحكيم الحق مع الصديق والعدو، والقريب والبعيد.

القرآن الكريم يقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً﴾[1] فهو كمن يترك السيارة بدون توجيه، أما إذا كان الهدى هو الذي يوجه الهوى فهذا شيء صحيح.

لاحظوا إذن المطلوب هو توجيه الهوى وليس قمع الهوى.

٢ _ التوازن هو المطلوب:

بعض الناس في زمن رسول الله ﷺ لما دخلوا الإسلام فقدوا حالة التوازن في التعامل مع استحقاقات الدنيا واستحقاقات الآخرة.

عن أبي أمامة قال: خرج رسول الله ﷺ من بيت عثمان بن مضعون فوقف على الباب فقال: «ما لَكِ يا كحيله متبذلة أليس عثمان شاهد؟» قالت: بلى وما اضطجع على فراش منذ كذا وكذا ويصوم النهار فلا يفطر فقال: «مريه أن يأتيني» فلما جاء قالت له فانطلق إليه فوجده في المسجد فجلس إليه فأعرض عنه فبكى ثم قال: قد علمت أنه قد بلغك عني أمر قال: «أنت الذي تصوم النهار وتقوم الليل لا يقع جنبك على فراش؟» قال عثمان: قد فعلت ذلك التمس الخير فقال النبي ﷺ: «لعينك حظ ولجسدك حظ فصم وأفطر ونم قم وأتِ زوجك فأني أنا أصوم وافطر وأنام وأصلي وآتي النساء فمن أخذ بسنتي فقد اهتدى ومن تركها ضل وإن بكل عمل شدة ولكل شدة فترة فإذا كانت الفترة الى الغفلة فهي الهلكة وإذا كانت الفترة إلى الفريضة فلا

(١) القصص: ٥٠.

يضر صاحبها شيئاً فخذ من العمل ما تطيق فأني إنما بعثت بالحنيفية السمحة فلا تثقل عليك عبادة ربك لا توذي ما طول عمرك».[1]

إذن لا بدّ من رقابة الهوى، لنلاحظ أين حبنا وأين بغضنا؟

لا بدّ من التوازن في هذه الدوافع النفسية فلا يكون شيء على حساب شيء آخر.

٣ _ تنظيم الوقت:

والإسلام يدعو إلى تنظيم الوقت بين العمل والعبادة والراحة، فالاستمتاع بالشهوات لا يصح أن يستهلك وقت الإنسان حتّى إذا كان في الحلال.

الروايات تقول بأن المؤمن له ثلاث ساعات، ساعة عبادة يناجي بها ربه، وساعة كسب وعمل، وساعة راحة يخلي في ما بينه وبين نفسه فيما يحل ويجمل.

للإنسان أن يرتاح ولكن فيما هو حلال وفيما هو جميل، الإسلام يقبل ذلك نحن نريد أن يعيش الناس والشباب في تسلية ورفاه وراحة وسرور وسعادة لكن فيما هو جميل وحلال.

الحديث عن الإمام عليّ عليه السلام: «للمؤمن ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يرُمُّ معاشه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل، وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلاّ في ثلاث مرَمّةٌ لمعاش، أو خطوة في معاد، أو لذة في غير محرم».[2]

(١) رواه الطبراني في الكبير ٨: ٢٢٣؛ مجمع الزوائد/الهيثمي ٢: ٢٦٠.

(٢) نهج البلاغة ٤: خ ٣٩٠.

برامج التلفزيون:

ألاحظ بعض المشاهدين وعبر المقالات الصحفية تطالب التلفزيون ببرامج مسلية نحن أيضاً نقول لا بدّ من برامج مسلية للترفيه عن الناس ولتسلية الشباب لكن البرامج المسلية يجب أن تكون فيما يحل ويجمل، فيما هو حلال و ما هو جميل.

نرحب به أيضاً كالألعاب الرياضية ومنها كرة القدم، الأفلام الروائية، قصص التاريخ، والقصص الإجتماعية المربية، ومختلف الفنون، المسابقات، فالبرامج المسلية ليست فقط هي الرقص والجنس فما أكثر البرامج المسلية الجميلة التي يستمتع بها المؤمنون الشباب.

نحن لا ننتظر من التلفزيون أن يكون قاعة جامعة علميّة أو مسجداً خاصاً للعبادة ولكن في نفس الوقت نحن لا نريد للتلفزيون أن يكون ملهى من الملاهي أو مرقصاً من المراقص.

هذه هي معالجة الإسلام للهوى فيما هو حلال ونافع ليكون الإنسان سعيداً ومسروراً في حياته، فالإسلام يريد السرور والرفاه والراحة والعيش السعيد للإنسان ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾.[1]

* * *

(١) الأعراف: ٣٢.

المشكلة الرابعة والعشرون
حب الدنيا

رأس مشاكل الإنسان حب الدنيا كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «رأس كل خطيئة حب الدنيا».[1]

إن أصل كل مشاكل الإنسان الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والعسكرية والعائلية والشخصية والعشائرية والقومية هو حب الدنيا، فالصراعات والخلافات وحتّى الفقر فإن أصله حب الدنيا، لأن الفقر ينشأ من استحواذ الأثرياء المترفين على المال ومن هنا يجوع الفقير.

المعالجة المتطرفة:

بعض الطوائف تطرفت وذهبت إلى التصوف والرهبانية والاعتزال في معالجة هذه المشكلة، فطالما كان حب الدنيا رأس كل خطيئة إذن ليبتعدوا عن الدنيا بكل أشكالها، تصوروا أن الابتعاد عن الدنيا معناه أن يسكنوا قمم الجبال أو الأكواخ ويتصوفوا كالدراويش حسب الاصطلاح.

المعالجة الإسلاميّة:

هذه المعالجة الصوفيّة رفضها الإسلام وأعطى معالجة دقيقة لمشكلة حب الدنيا تقوم على أساس تشخيص المرض بشكل صحيح، فالمعالجة تكون صحيحة إذا شخص الطبيب المرض بشكل صحيح.

---

(١) روضة الواعظين: ٤٤١.

وما هو مرض حب الدنيا؟

هل هو أن يأكل الإنسان ويشرب وينام ويسكن ويملك؟

الإسلام يرى أن حب الدنيا ليس هو حب الاستفادة من هذه النعم التي أنعم الله تعالى بها على العباد، بل أن تكون هذه الدنيا وما فيها من نعيم هي المعبود وهي الأصل والهدف الأكبر، وليست هي الطريق إلى الآخرة.

لقد دعا الإسلام إلى اعتبار الدنيا طريقاً للآخرة، ومزرعة لها كما جاء في الحديث الشريف: «الدنيا مزرعة الآخرة»[1] وهكذا جاء في الحديث الآخر: «الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر»[2] فخذوا من هذه الدنيا، لكن ليس للدنيا بل للآخرة، «خذوا من ممركم لمقركم».

ولذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «من أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه جعل الله تعالى الفقر بين عينيه وشتت أمره ولم ينل من الدنيا إلاّ ما قسم الله له، وأما من أصبح وأمسى والآخرة أكبر همه جعل الله الغنى في قلبه وجمع له أمره».[3]

فالله يرتب أمر هذا الإنسان الذي يفكر بالآخرة وهكذا المجتمع الذي يفكر بالآخرة، وأنتم اليوم حينما تفكرون بالآخرة فإن الله تعالى يجمع أمركم ويجعل الغنى في قلوبكم وأنا أخصكم بالذات أنتم شيعة أهل البيت الذين يفكرون برضا الله ورسوله والأئمّة الأطهار، ولهذا لم

---

(١) عوالي اللئالي ١: ٢٦٧.

(٢) الأمالي/ الصدوق: ٢٨٩.

(٣) الكافي ٢: ٣١٩.

يتحول شيعة أهل البيت يوماً من الأيام إلى عبيد للآخرين، دخلوا السجون وصعدوا أعواد المشانق وعاشوا في أشد صور الملاحقة والمطاردة ولم يتحولوا إلى عبيد وأذلاء وإنما جعل الله الغنى في قلوبهم، أنتم أغنياء أعزاء بالتوكل على الله تعالى وطلب رضاه وجمع لكم أمركم، الله ناصركم ويدافع عنكم.

هَمُّ الدنيا وهَمُّ الآخرة:

إذن ليست المشكلة أن يحمل الإنسان هَمُّ الدنيا ومشاكلها وفعاليتها ونعيمها، بل المشكلة أن تكون الدنيا هي أكبر همومه، وأهدافه، وغاياته بدلاً عن الآخرة.

الاعتدال هو المطلوب، وهو المعالجة الصحيحة، ولعل هذا هو التفسير الصحيح للحديث الذي يقول: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».[1]

* * *

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ١٥٦/ ح ٣٥٦٩.

المشكلة الخامسة والعشرون

اضطهاد الجمهور

إن أكبر مشكلة يعاني منها العالم الإنساني هي مشكلة الاضطهاد.

وهو على عدة مستويات: اضطهاد الأقلية، اضطهاد المرأة، الاضطهاد الأسري، هذه مجموعة صور ومستويات للاضطهاد، وأوسع تلك المستويات هو اضطهاد الجمهور والطبقة العامة من الناس.

نتناول اليوم المعالجة الإسلاميّة لاضطهاد الطبقة العامة من الناس حيث نجد أن الجمهور مضطهد ومظلوم في العالم وحقوقه مصادرة على طول التاريخ.

فهو يُضطهد مرةً من قبل الحكام والأمراء والولاة، ويضطهد مرةً من قبل المترفين والأغنياء والمستكبرين، ومرة من قبل النخب الثقافية والسياسية باتهامه بالجهل وعدم الوعي، وهنا تأتي عملية الاستعلاء والتكبر الفكري على الجمهور، حيث يدعي البعض انه هو وحده الذي يفهم والجمهور لا يفهم.

مناشئ اضطهاد الجمهور:

هناك عدة مناشئ للاضطهاد.

أحدها حالة التعالي الفكري والغرور الثقافي.

وقد يكون منشأ الاضطهاد أحياناً هو عملية الشعور بالاستغناء عن الناس كما هو لدى الطبقات الحاكمة والطبقات المترفة.

وهناك سبب ثالث للاضطهاد هو الكبرياء القبلي والطبقي ورمي الجمهور بالحقارة.

هذه عدة مناشئ لاضطهاد الجمهور على طول تاريخ البشرية فكيف عالجها الإسلام؟

المعالجة الإسلاميّة لاضطهاد الجمهور:

حديثي هنا موجز للغاية لأنه موضوع واسع وفيه مدارس واتجاهات ونظريات.

إن أروع ما سجله الإسلام في معالجة اضطهاد الطبقة العامة هو ما جاء عن إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام الذي أرسله إلى مالك الأشتر حينما بعثه والياً على مصر، حيث سجل الإمام عليه السلام أروع صور العناية بالجمهور ورعاية الأمّة واحترامها والمطالبة بحقوقها، وأنت حينما تقرأ هذا الكتاب تعجب أنه قد كتب قبل ألف وأربعمائة عام، انه من أعظم الدساتير على كل المستويات، وأنا لا أستطيع إلا أن أقرأ لكم سطوراً من هذا الكتاب وهو يستحق الشرح وتأليف الكتب في شرحه.

الحقيقة ان هذا الكتاب موجه لكل مسؤول في دائرة ومدرسة ومعمل ومؤسسة.

مقاطع من كلمات الإمام عليّ عليه السلام:

يقول عليه السلام: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم ولا تقولنّ إني مؤمر فأُطاع، إذا حدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فأنظر إلى عظمة ملك الله فوقك.

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق و أعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية».[١]

ليكن أحب شيء إليك أيها الأمير والمدير والمسؤول هو ذاك الشيء الذي يرضى عنه معظم الناس.

ثمّ يقول: «من ظلم عباد الله كان الله خصمه».

ويقول عليه السلام: «إنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمّة».

نحن نقاتل الأعداء بالجمهور والطبقة العامة فيجب أن لا نتعالى عليهم ولا نبتعد عنهم.

«إن أفضل قرة عين الولاة هو استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية» حين يكون الناس راضين عن هذا الحاكم ويكون الطلاب راضين عن المدير، والعمال راضين عن مسؤول المعمل، وأبناء المدينة راضين عن هذا المسؤول وهكذا. هذا ما يجب أن يكون هدف المسؤولين.

ثمّ يقول عليه السلام: «الله الله في الطبقة السفلى ـ يعني الطبقة العامة ـ من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم».[٢]

كان إمامنا السجاد عليه السلام يتفقد الضعفاء ويزور الفقراء والمساكين في بيوتهم ويتفقد الرعية والطبقة المستضعفة.

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٨٤.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٠٠.

حبل الناس:

القرآن الكريم يؤكد الاهتمام بالناس واعتبارهم ميزان النجاح، وذلك حين يقول: ﴿إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾[١] نحن يجب أن نرتبط بحبلين: حبل من الله وحبل من الناس، إذا قطعنا العلاقة مع الله فقد خسرنا، وإذا قطعنا العلاقة مع الناس فقد خسرنا أيضاً.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو كما ورد عنه: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين»[٢] عجيبة هي روعة الإسلام، فهذا النبي سيد الخلق يقول ذلك.

مجالس الفقراء:

كان بعض رجال قريش يطلبون من النبي إبعاد الفقراء والمساكين والطبقة العامة من الناس ويقولون له: أبعدهم عنك حتّى نؤمن بك، لكن الله أمره بقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[٣] اصبر مع هؤلاء المستضعفين والفقراء، لا تطردهم، ولا تبعدهم عنك، هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا معشر الفقراء إن الله رضي لي أن أتأسى بمجالسكم»[٤] يعني ان الله تعالى يرضى لنبيه ويأمره أن يتأسى بمجالس الجمهور، الطبقة العامة، الفقراء، الكسبة، المساكين، العمال، والفلاحين أي الطبقة العاملة «فإنها مجالس الأنبياء

---

(١) آل عمران: ١١٢.

(٢) سنن النبي: ١٣٥.

(٣) الكهف: ٢٨.

(٤) كنز العمال ٦: ٤٨٤.

قبلكم» أي قبل أن تكون هذه مجالس الفقراء هي مجالس الأنبياء، هذا فخر إذن، هكذا يتعامل الإسلام مع الطبقة العامة من الناس.

نحن حين نتعامل مع الطبقة العامة بمثل هذه الأخلاقية والروحية لا يكون هناك اضطهاد، ولهذا فإني أوجّه هذا الكلام لنفسي ولكل المسؤولين على مختلف المستويات وهو أن نشعر قلبنا الرحمة بالرعية والمحبة للناس، لا تقل هذا فقير، هذا لا أعرفه، هذا ليس من عشيرة من العشائر، هذا ليس عنده جماعة وأنصار فكل هؤلاء هم عباد الله، ورسول الله ﷺ يدعو أن يحشره الله مع هؤلاء المساكين.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل محيانا محيا المساكين ومماتنا ممات المساكين ويحشرنا مع المساكين.

وطبعاً هذا ليس معناه ان الإسلام يريد أن نكون فقراء فليس هذا هو المقصود، فحياة المساكين تكون حتّى لو كان المرء غنياً، فالمقصود أن تكون حياته بسيطة، فيمكن أن يكون عنده أموال وعشيرة وجنود لكن حياته حياة بسيطة متواضعة، هذه حياة المساكين وليس معناها أن يموت جوعاً أو يعيش فقيراً.

* * *

المشكلة السادسة والعشرون
الاضطهاد الأسري

حـديثنا اليـوم وبشـكل مـوجز عـن الاضـطهاد الأسـري يعنـي الاضـطهاد فـي داخـل الأسـرة، هـذا الاضـطهاد موجـود فـي كـل العـالم، مـرة اضـطهاد الأب للابـن، مـرة الابـن لـلأب، مـرة الأخ لـلأخ، مـرة الـزوج للزوجة، ومرة الزوجة للزوج هذا اضطهاد داخل الأسرة.

النظم الغربية لما وجدت هذا الاضطهاد في داخل كثير من الأسر في كل العالم في شعوبهم وشعوبنا قالوا إن الحل هو تضعيف موقع الأسرة وتغيير نظامها، هذه هي الطريقة الغربية في العلاقات داخل الأُسرة. علاقة قائمة على أساس المصالح الشخصية بعيدة عن الشراكة المقدسة في الحياة والرابطة الأخلاقية بين أبناء الأسرة الواحدة.

وفي مقابل موقع الأسرة في النظام الإجتماعي يأتي نظام دعم موقع الدولة في داخل الأُسرة. حين يشعر الابن أن الدولة هي أمّه وأبوه، وهكذا تشعر الزوجة حيث الراتب والنفقة على الدولة وكذلك المكان والرقابة والتربية هذا هو قانون قيمومة الدولة وليس قيمومة الأب أو الزوج.

النظام الأسري في الإسلام:

الإسـلام أكـد علـى العلاقـة المقدسـة والأخلاقيـة فـي نظـام الأسـرة، ودعـا إلـى تحكـيم هـذه العلاقـة، فـي الوقـت الـذي لـم يتنكـر فيـه إلـى موقـع الدولة وضرورة حمايتها لأفراد الأُسرة.

نريـد أن نعـرف بشـكل مـوجز مـا هـي النظريـة الإسـلاميّة للأسـرة هل فيها اضطهاد؟ أم ليس فيها اضطهاد؟

إن الإسـلام يـرفض الاضـطهاد ويـؤمن بنظريـة الرعايـة، وهـذه الرعاية لها جانبان:

الرعاية المتبادلة:

رعايـة الأبـوين لـلأولاد ثـمّ رعايـة الأولاد للأبـوين وكـذلك علـى مستوى الزوج والزوجة وهذا يحتاج إلى شرح وتفصيل.

نظريـة الإسـلام فـي الأسـرة هـي نظريـة الرعايـة المتبادلـة، يعنـي الأبـوان علـيهم واجبـات ولهـم حقـوق، واجبـات الأبـوين الرعايـة بتفصـيل سـنذكره، وواجبـات الأبنـاء تجـاه الوالـدين الرعايـة أيضـاً والوفـاء للأبـوين وبالوالدين إحسانا: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾.[1]

العلاقة الرحيمة بينهما، حتّى ورد في الروايات أن «نظر الوالد إلى ولده برحمة حسنة»[2] وكذلك الابن حينما ينظر إلى أبيه برحمة تسجّل له حسنة. هذه علاقات إنسانية رائعة وجميلة وهي تكاد تكون مفقودة في الغرب، لهذا فهم يصلون إلى حلّ الأسرة واستبدال الزواج بالعشق والعلاقات الجنسية غير المشروعة، وكذلك استبدال الأبناء بالكلاب والقطط، لأنه لا توجد محبة وحنان في داخل الأسرة، بينما الإسلام يدعو إلى تحويل البيت إلى حديقة علاقات وبستان محبة فيه حنان متبادل.

---

(١) لقمان: ١٤.

(٢) عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله: «إذا نظـر الوالـد إلـى ولـده فسـرَّه ذلـك كـان للوالـد عتـق نسمة» بحار الأنوار ٧١: ٨٠.

واجبات الآباء:

هناك واجبات ومسؤوليات على الأباء أُلخّصها في نقاط:

١ _ التربية الصحيحة وهذه هي المسؤولية الكبرى على الآباء تجاه أبنائهم، فهم مسؤولون عن حياة الأبناء الثقافية والأخلاقية.

٢ _ الكفالة المادية، والتي تمتد لتغطي كل حاجات الابن حتّى يقول الفقهاء انه يجب على الأب أن يسعى في تزويج ابنه، فالابن إذا لم يملك مالاً فمسؤولية الأب ليس فقط أن يعطيه طعاماً ولباساً وإنما أن يسعى ويعمل على تزويجه.

٣ _ الحماية الإجتماعية وهي تعني أن الابن أو البنت في معرض الخطر الإجتماعي نتيجة وجود تيارات منحرفة واتجاهات ضالة ومخاطر، من هنا فإن فمسؤولية الأب هي حماية الابن والبنت منها وليس مجرد أن يعطيه طعاماً أو أموالاً ويقول له اذهب وادرس وتاجر وما شابه ذلك.

وهذا هو عمق المفهوم الفقهي عن ولاية الأب على زواج البنت الباكر، الأب الذي هو أكثر تجربة ومعرفة في المجتمع إذا رأى أن هذه البنت تحتاج إلى ترشيد وتسديد في مسألة الزواج يجب عليه أن يتحمل مسؤولية حمايتها، انه يعرف المجتمع إذن يقوم بعملية الحماية الإجتماعية وليس عملية فرض الرأي، ولهذا إذا كان الأب يريد أن يفرض رأيه على البنت بدون دليل ومبررات صحيحة، فإن الإسلام يقول له ليس من حقك أن تفرض رأيك على هذه البنت،

وذلك قوله تعالى: ﴿فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ﴾[1] **يعني ليس الحق للأب أن يمنع بنته من الزواج بدون مبرر علمي وحقيقي.**

واجبات الأبناء تجاه الآباء:

١ _ الاحسان والبر.

٢ _ الرحمة والشكر.

٣ _ حرمة الايذاء.

وقد لخص هذه الواجبات الثلاثة قوله تعالى:

﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً﴾.[2]

هذا خلاصة ما يجب على الأبناء تجاه الأبوين:

الاحسان لهما ﴿وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾.

والشكر لهما ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ﴾.

وعدم الاعتداء عليهما والايذاء لهما ﴿فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما﴾.

المطلوب هو الرعاية المتبادلة بين الآباء وبين الأبناء، رعاية ليس فيها اضطهاد وظلم بل فيها حنان وتعاطف ونصرة، الأب ينصر ابنه والابن ينصر أباه: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ﴾.[3]

* * *

---

(١) البقرة: ٢٣٢.

(٢) الإسراء: ٢٣ و٢٤.

(٣) إبراهيم: ٤١.

المشكلة السابعة والعشرون
الاضطهاد الحضاري

تحـدثنا فـي الأسـابيع السـابقة عـن الاضـطهاد للـرأي العـام، وعـن الاضـطهاد داخـل العائلـة واليـوم نتحـدث عـن نمـوذج آخـر مـن الاضـطهاد واسمه (الاضطهاد الحضاري).

اليــوم العــالم يشــكو مــن نمــط جديــد مــن الاضــطهاد اســمه الاضــطهاد الحضــاري، يعنــي اضــطهاد الأمــم الأخــرى وسـحق حضـارات الأمم الأخرى ومصادرة إرادة وقيم وتاريخ الأمم الأخرى.

هــذا اضــطهاد لكــن هــذا الاضــطهاد علــى صــورتين، مــرة يكــون اضطهاداً قسرياً معلناً ومرةً اضطهاداً حضارياً مبطناً.

الاضطهاد المعلن:

الاضــطهاد القســري المعلــن كمــا فعــل الاتحــاد الســوفيتي الســابق حينمــا ضــمّ إلــى حــدوده مجموعــة دول لهــا اســتقلالها مثــل آذربيجــان وتركمنسـتان وأرمنسـتان، هـذه الـدول جـاء الاتحـاد السـوفيتي وضـمّها إليـه بـالقوة وصـارت جـزءاً مـن إمبراطوريـة الاتحـاد السـوفيتي، ولكـن بطريقـة الاضــطهاد والقســر وأصــبحت اللغــة الروســية هــي اللغــة العامــة لكــل هــذه الـدول ذات القوميـة والتـاريخ والحضـارة المسـتقلة مـن قبـل، لكـن بـالقوة اضـطهدوها وصـادروا حضـارتها وتاريخهـا وإرادتهـا وصـارت جـزءاً مـن الاتحـاد السـوفيتي، هـذا نمـوذج نسـميه الاضـطهاد القسـري المُعلَـن ومثلـه

مـا كـان فـي العـراق علـى عهـد النظـام البائـد، حيـث كـان يقـال للتركمـان فــي العــراق إمــا أن تنتمــوا إلــى القوميــة العربيــة أو تنتمــوا إلــى القوميّــة الكردية، هذا اضطهاد قسري بالحديد والنار.

الاضطهاد المبطن:

هذا نموذج لكن العالم اليوم يعاني من اضطهاد آخر ليس بشكل معلن وهو ما نسميه بالاضطهاد المبطن، هو نفس الاضطهاد وليس أقل من الأوّل في مصادرة الأمم وتاريخها وحضارتها لكن بصورة مبطَّنة وشعارات مزَّيفة ومن خلال صيغ يقال عنها إنها صيغ حضارية مثل (مكافحة الأصولية) فهذا شعار مزيـف يـراد بـه محاربـة الإسـلام ومصـادرة الأمـم الإسـلاميّة بعنوان (مكافحة الأصولية) ثمّ (مكافحة الإرهاب) ثمّ شعار (الإصلاح الديمقراطي) في الشرق الأوسط وهي شعارات وأهداف صحيحة نصطف جميعاً معها ولكن ما يجري على الأرض يحمل أهدافاً أخرى وبروح فرض السيطرة العالمية وليس إنقاذ الشعوب المضطهدة.

الآن علـى سـبيل المثـال رئـيس الولايـات المتحـدة يخاطـب الـدول العربيــة وعمــوم الشــرق الأوســط ويقــول علــيكم أن تواصــلوا مســيرة الإصـلاحات الديمقراطيـة، هـذا عنـوان صـحيح ومطلـوب جـداً لكـن واقـع الأمـر انـه يسـتبطن اضـطهاداً حضـارياً مبطنـاً بصـيغة الإصـلاح الـديمقراطي، وإلاّ فمـا هـي علاقـة الولايـات المتحـدة بالإصـلاح الـديمقراطي فـي الـدول الإسـلاميّة، مـا هـي علاقـتهم؟ ولمـاذا لا ترفـع هـذا الشـعار ضـد الملـوك والحكومـات السـلطوية التابعـة لهـا فـي المنطقـة نفسـها؟ ولمـاذا لا ترفـع هذه الشعارات ضد إسرائيل الغاصبة؟

إنما هي محاولات نفوذ وفرض سيطرة بمثل هذه العناوين، وهكذا عنوان (حقوق المرأة) ومثل ذلك في العالم العربي تحت عنوان (حقوق الأقليات) هذه عناوين تستخدم للاضطهاد الحضاري المبطن والنفوذ في العالم وفرض العولمة.

أذكر لكم مثلاً في تركيا حينما فاز الإسلاميون تحت إطار حزب الرفاه كانت العملية عملية انتخابات حقيقية على الأرض وباصطلاحهم عملية ديمقراطية لكن ما الذي جرى؟

الذي جرى أنهم قاموا بانقلاب عسكري وفرضوا حكومة عسكرية بيد الجيش وأطاحوا بحكومة أربكان زعيم حزب الرفاه ثمّ عرضوه إلى محكمة مع إن صعوده إلى الحكم كان عبر عملية انتخابية.

في الجزائر كذلك حينما فاز التيار الإسلامي ماذا صنعوا ضده؟ قاموا بانقلاب عسكري وفرضوا حكومة عسكرية ثمّ أطاحوا بالتيار الإسلامي بعنوان أن هذا التيار الإسلامي هو تيار أصولي، وهذه الملفات (الأصولية) و(الإرهاب) هي ملفات موجودة في جيب الدول الكبرى تُستخدم مرةً على هذا الشخص أو على هذه الأمّة لكن واقع الأمر كما صرّح الرئيس الأمريكي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث صرّح الرجل _ وربما كان يتمتع بشجاعة _ حيث قال: (اليوم بدأت الحرب الصليبية ضد الإسلام) ولكن بعد أربع وعشرين ساعة اكتشف أن هذا التصريح خطر، وراح يؤلِّب عليه الواقع الإسلامي، فعَدل عن هذا التصريح وبدأ يستقبل الأحزاب الإسلاميّة بحفاوة وتقدير والحمد لله مقلّب القلوب وغيّر العبارة من الحرب الصليبية ضد الإسلام إلى عنوان (مكافحة الإرهاب) لكن ما هو الإرهاب؟

هنا الإرهاب مرةً تضعه الولايات المتحدة الأمريكية على جبين تركيا، ومرةً على الجزائر ومرةً على العراق ومرةً على إيران، ومرةً على سوريا ومرةً على كوريا وهكذا، وربما لا تكون تلك العناوين بعيدة عن الواقع في كثير من هذه الدول لكننا نتحدث عن الازدواجية في استخدام هذا الشعار.

وهكذا أطلقوا عنواناً جديداً اسمه محور الشر على إيران وسوريا وكوريا، هذا اضطهاد حضاري مبطّن فإن واقع الأمر شيء آخر، هو مصادرة حريات الشعوب ومصادرة تاريخ تلك الشعوب وربما يتناغم أحياناً مع حرية ومصالح تلك الشعوب بالفعل كما حدث في العراق حينما تكون مصلحة الدولة العظمى تغيير النظام السياسي في المنطقة لتحقيق المزيد من النفوذ والسيطرة.

في تركيا على سبيل المثال في البرلمان فازت امرأة محجبة اسمها (مروة) ودخلت المجلس النيابي لأوّل مرة عبر انتخابات حرة ديمقراطية عادلة، فما الذي صنعوا؟

هذه المرأة ليست هي بن لادن ولا هي القاعدة ولا هي إرهاب ولا هي أسلحة الدمار الشامل.

لكنهم هذه المرة قالوا بما إنها تحمل جنسيتين إذن يجب أن تطرد من المجلس الوطني لأنها تحمل جنسية تركية وتحمل جنسية أجنبية أخرى، وهكذا نجد أن العملية هي عملية تسطير عناوين وإيجاد مبررات، أما أصل القضية فهو: اضطهاد حضاري.

مثال ذلك أيضاً فرنسا حين منعت الحجاب الإسلامي في

الدوائر الرسمية بأي عنوان كان ذلك؟ لا يمكن أن يقولوا نحن ضد الإسلام، قالوا اننا لا نريد للجامعات والإدارات أن تكون ذات رموز دينية، لا الرموز المسيحية، ولا الرموز اليهودية، ولا الرموز الإسلاميّة.

إن واقع الأمر يخص المسلمين فقط لأنهم هم الذين يحملون رمز الحجاب والباقون لا يوجد عندهم رمز، فكانت القضية هي مصادرة للمسلمين لكن بشكل آخر وعنوان آخر.

موقف الإسلام:

الإسلام في الحقيقة ضد الاضطهاد الحضاري الذي له أدوات عديدة أهمها الاعلام العالمي فالفضائيات اليوم هي أهم أدوات الاضطهاد الحضاري، وهكذا القوة العسكرية، وهي الأداة الثانية للاضطهاد الحضاري والأداة الثالثة هي الصيغ الحضارية الكاذبة التي أشرنا إلى بعضها.

أما رأي الإسلام فهو عبارة عن ﴿لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ﴾[1] **عبارة عما يقوله أمير المؤمنين** عليه السلام**: «أما والله لو ثنيت لي الوسادة ثمّ أجلست عليها لحكمت أهل الإنجيل بإنجيلهم وأهل التوراة بتوراتهم وأهل الزبور بزبورهم وأهل الفرقان بفرقانهم».**[2]

نحن إسلامياً نرفض اضطهاد الآخرين ومصادرة حضارتهم وتاريخهم وأديانهم، الإسلام يؤمن بالحوار الحضاري ﴿وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) بحار الأنوار ٤٠: ١٥٣.

هِيَ أَحْسَنُ﴾،[1] ﴿وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2] **يعني ليس من حقكم أن تتعاملوا مع الآخرين إلاّ بالطرق الحسنة إلاّ بالتي هي أحسن ليس الاضطهاد والقمع والتهديد والشعارات الكاذبة.**

* * *

(١) النحل: ١٢٦.

(٢) العنكبوت: ٤٦.

المشكلة الثامنة والعشرون
الاضطهاد الإقتصادي

هـذه إحـدى المشـاكل التـي تصيب المجتمـع الإنسـاني، وهـي تعنـي أن هنـاك مجموعـة أغنيـاء متخمـين متـرفين وهنـاك مجموعـة فقيـرة مسـكينة لـيس لهـا مـأوى ولا منـزل ولا طعـام ولا عمـل.[1] هـذا التفـاوت الطبقـي الفـاحش نسـميه (اضـطهاد إقتصـادي) الـذي يعنـي الظلـم والإجحاف بحق الفقير واغتصاب حقه العادل في الحياة.

قـد يقـول القائـل إن الغنـي يعمـل والفقيـر لا يعمـل، الغنـي ذكـي والفقيـر غيـر ذكـي، إذن هـذا حـق طبيعـي أن يكـون شـخص غنيـاً وآخـر فقيراً، فلماذا يعتبره الإسلام اضطهاداً وظلماً؟

(1) جاء في جريدة الدستور العدد ٧٤٩/ ٢٣ شباط ٢٠٠٦ تحت عنوان:

البطالة في العالم:

أشار تقرير صادر عن مكتب منظمة العمل الدولية في عمان إلى أن نسبة البطالة في العالم ارتفعت خلال العام الماضي إلى درجة عالية جداً. وأكد التقرير ان النمو الاقتصادي العالمي لا يكفي حتّى الآن لاستيعاب الأعداد الكبيرة من القوى العاملة في العالم التي تتزايد يوماً بعد يوم. وجاء في التقرير ان تعاقب الكوارث الطبيعية وارتفاع أسعار الطاقة وزيادة الانفاق على انتاج الأسلحة الحربي وامتلاكها قللت فرص العمل في العديد من دول العالم وأشار التقرير إلى ان عدد العاطلين عن العمل في العالم يزيد عن ١٥٠٠ مليون شخص وان غالبية هؤلاء يعيشون ما دون خط الفقر الأمر الذي يهدد بتزايد أعمال العنف والاضطرابات في المجتمعات التي تعاني من ارتفاع ظاهرتي البطالة والفقر.

الجـواب: لا توجـد مشـكلة فـي أن يكـون هنـاك فقيـر وهنـاك غنـي فهـذا لـيس اضـطهاداً، ولكـن أن يكـون هنـاك غنـيٌ فـاحش وفقـرٌ مُـدقع فهـذا هـو الظلـم، وإلاّ فـلا مشـكلة فـي أن يملـك شـخصٌ بيتـاً وآخـر يكـون مسـتأجراً، لعـل الأوّل تـوفرت لـه ظـروف والثـاني لـم تتـوفر، الإسـلام لا يغصـب أمـوال الغنـي، لكـن إذا تحـول الغنـى إلـى غنـى مفـرط علـى حسـاب الفقـراء وتكـديس الأموال فإن الإسلام يعتبره اضطهاداً ولهذا يقول:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.[1]

لـم يقـل الـذين يملكـون أمـوالاً طائلـةً بـل قـال الـذين يكنـزون الأمـوال، يـدّخرونها ولا ينفقونهـا ولا يصـرفونها لصـالح المجتمـع ويوجـد إلـى جـانبهم أنـاس فقـراء، فهـؤلاء المكتنـزون بشّرهم بعذاب أليم.

ما هي الرؤية الإسلاميّة:

هنا نحاول أن نبلور النظرية الإسلاميّة في الإقتصاد:

الإسلام يؤمن بمبدأين:

الأوّل: قـانون التنـافس، الـذي يعنـي أن النـاس يجب أن يتنافسوا في الحركة والابداع فيبدع شخصٌ فيكون أكثر غنىً، لا إشكال في ذلك فإن هذا تنافس حر، لكن إلى جانبه مبدأ ثان يقرّه الإسلام في نظريته الإقتصادية.

(١) التوبة: ٣٤.

الثاني: هو مبدأ الحق العام، يعني أن هذه الأموال والثروات الطبيعية وهذا الذي سخّره الله تعالى للعباد هو حق عام لجميع البشر. فإذا افترضنا أن هناك إنساناً في مدينة من المدن في أفريقيا يموت من الجوع وأنت قادر على أن تصل إليه ولم تصل إليه فإن الله يحاسبك، حتّى وإن كنت لا تعرفه وحتّى إذا كان غير مسلم، هذه هي نظرية الحق العام للناس، لذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.[١]

القرآن الكريم لطيف جداً حين يقرأه الإنسان بتدبر، فصحيح هي أموالكم ولكن للآخرين فيها حق يقول: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصاده﴾.[٢]

هذه نظرية الحق العام، ولهذا يقول القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي الأَرْضِ﴾[٣] إذن الفقير له حق في أموالك رغم أن لك حق الاختصاص بها ولكن ليس لك حق الاكتناز، فإذا لم تمتلك مصرفاً لها فلا بدّ من منحها للفقير، الإمام عليّ عليه السلام يقول: «ما جاع فقير إلاّ بما مُتّع به غني والله تعالى سائلهم عن ذلك».[٤]

ثواب الانفاق:

أذكّركم برواية تقول: إن سبعة أصناف يوم القيامة تحت ظل

(١) المعارج: ٢٤ و٢٥.
(٢) الأنعام: ١٤١.
(٣) الحج: ٦٥.
(4) نهج البلاغة ٤: ٧٨/ ٣٢٨.

الله أحدها: رجل أنفق بيمينه وأخفاها عن شماله،[١] إنه يتصدق ليس رياء وللدعاية والإعلام، هذا معنى ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصاده﴾.[٢]

* * *

(1) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله. إمام عادل، وشاب نشا في العبادة - عبادة الله عز وجل -، ورجل كان قلبه متعلقاً بالمسجد إذا خرج حتّى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا في ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله عز وجل وهو خال ففاضت عيناه، ورجل تصدق بصدقة اخفاها انفق بيمينه عن شماله».
(٢) الأنعام: ١٤١.

المشكلة التاسعة والعشرون
الاضطهاد الثقافي

من جملة المشاكل الإنسانية التي ما تزال موجودة إلى اليوم هي مشكلة الاضطهاد الثقافي وهو يعني فرض عقائد خاصة على الناس ومحاكمتهم على أفكارهم وعقائدهم وإجبارهم على أن يكونوا على الدين أو المذهب الفلاني، هذا قهر واضطهاد ثقافي وهو أخطر وأسوأ من الاضطهاد السياسي والإقتصادي والعسكري لأنه يتعامل مع بدن الإنسان أما الاضطهاد الثقافي فهو يسحق كرامة الفكر.

القرون الوسطى:

في القرون الوسطى السوداء كانت هناك محاكم تفتيش للعقائد ويحاسب الإنسان على عقائده وبعض الناس قد يتصور أنه لا يوجد اليوم اضطهاد ثقافي بل هذا زمان الحرية والتحرر من كل صور القهر والاضطهاد، لكن ليس كذلك فاليوم يوجد اضطهاد وقهر ثقافي على الشعوب ليس فقط في الحكومات الدكتاتورية كالاتحاد السوفيتي السابق، أو نظام صدام الطاغية الذي كان يحاسب الناس على أفكارهم ويفرض عليهم أفكاراً وعقائد معينة، بل في العالم الغربي أيضاً ولكن بشكل مبطن، يقول الغرب في سياسته وحضارته اليوم: أنا أؤمن بالحرية الثقافية المطلقة، يعني اعتقدوا بما شئتم، افعلوا ما شئتم، فكروا كيفما تشاؤون. هذا هو العنوان ولكن الواقع غير ذلك.

مبدأ التفوق الثقافي:

يوجد اليوم اضطهاد ثقافي لكنه مُبطّن حيث يُحاصر الإنسان ثقافياً عبر قنوات الاعلام والفضائيات والمناهج الدراسية المحددة، وهناك قانون لدى الغرب هو قانون التفوق الثقافي، فمن يذهب إلى الغرب قد يندهش للحرية الموجودة، فلا مانع من فتح مدرسة حرّة لأي مذهب أو حزب كان، ويتصور أن الحرية الثقافية الموجودة هي حرية مطلقة، لكن هذا الإنسان المسكين إذا نظر نظرة صائبة وعميقة يجد أن هناك حصاراً ثقافياً.

توجد في الغرب اليوم حريات ثقافية لكن بشرط التفوق الثقافي للرؤية المادية الغربية فأي ثقافة تزاحم الثقافة الغربية ليس مسموحاً لها وتحارب بشكل وآخر، هذا مبدأ التفوق الثقافي، ولهذا وجدنا أن مظهر الحجاب للمرأة المسلمة في فرنسا يمنع قانونياً بعنوان مكافحة الرموز أو الاشارات الدينية.

كنا يوماً ما في ألمانيا وكان للمسلمين مسجد رائع جداً في هامبورغ بحيث لا يدخل الإنسان إلى المدينة إلاّ ويشاهد هذا المسجد المطلّ على النهر وفي منطقة إستراتيجية فجاؤوا وبنوا أمامه كنيسة أعلى منه لكي تحجب عنه رؤية المشاهدين. وأصبح المشاهد لا يرى المسجد.

قد يقولون بوجود حرية ثقافية ولكن ضمن سياسة التفوق للفكر الآخر فهم لا يسمحون لك أن تتفوق عليهم.

رؤية الإسلام:

الإسلام يعتقد أن هذه مشكلة وهدر في كرامة الفكر. ويعتقد أن الفكر له قيمة، وكرامة الإنسان من كرامة الفكر وأن الممارسة

الفكرية يجب أن تأخذ حقها وحريتها حتّى نجد أن القرآن الكريم يستعرض ممارسة إبراهيم خليل الرحمن الفكرية الحرة:

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هذا رَبِّي﴾.[1]

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هذا رَبِّي﴾.[2]

هذا استعراض لممارسة فكرية حرة يقوم بها خليل الرحمن إبراهيم حتّى وصل إلى النتيجة.

أحد الفروق المهمة بين الإسلام والحضارة الغربية هو أن الإسلام لا يدعي أنه يؤمن بالحرية الثقافية المطلقة، يقول الغرب إني أؤمن بالثقافة المطلقة لكنه يكذب عملياً أما الإسلام فإنه يقول أنا أؤمن بالحرية الثقافية المحدودة.

خطوط حمراء:

هناك خطوط حمراء أمام الحرية الثقافية نذكر بعضها بإيجاز:

١ ـ الالحاد: فالإسلام لا يسمح بالحرية الثقافية الالحادية واللادينية وإن كان ذلك تحجيماً للحرية الثقافية.

٢ ـ قمع الآراء والفكر بالقوة: حيث يرى الإسلام انه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[3] فإذا وصل الآخر إلى نظرية معينة فأنت من حقك مناقشتها بالبرهان وليس بالقمع والقسوة والعنف.

٣ ـ تلويث البيئة الفكرية: فالإسلام يقول للنصراني يمكن أن

(١) الأنعام: ٧٧.
(٢) الأنعام: ٧٨.
(٣) البقرة: ٢٥٦.

تعيش في البلاد الإسلاميّة وتمارس شعائرك وطقوسك وكتبك ودروسك ومدارسك لكن بشرط عدم تلويث البيئة الثقافية، إذن لا يسمح لهم أن ينشروا أفكارهم في الوسط الإسلامي.

ولا شك أن هذا تحديد للحرية الثقافية لكن الإسلام يعترف بهذا التحديد.

مشكلة الغرب انه يقول أنا لا أعتقد بأي حد من الحدود الثقافية لكنه يكذب عملياً، انه يضطهد الشعوب والحضارات الأخرى ثقافياً لكن بطرق ذكية وهذا هو الذي نسميه اضطهاداً مبطناً.

شاهدنا العراقيين في المهاجر المختلفة كانوا يؤسسون مساجد وحسينيات وما شاكل ذلك لكنهم مضطهدون ثقافياً، يجب أن يذهب ابن العراقي إلى المدرسة لكنه مضطهد ومجبر على أكل الطعام الذي يطعمونه إياه وهو لحم الخنزير، ومجبور أن يتلقى دروساً خاصة في الموسيقى ثمّ الرقص والسباحة المختلطة، في ظاهر القضية يقولون أنت حر، اذهب أسس مسجداً وحسينية لكنه أينما يكون فهو محاصر، هذا هو الاضطهاد الثقافي المبطن.

الإسلام يدعو الأديان الأخرى بقوله: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[1] لا يقبل باجبارهم على الانتماء للإسلام بل يقول تعالوا ننتمي إلى الله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾.[2] أنت ابق على دينك وأنا أبقى على ديني.

(١) آل عمران: ٦٤.
(٢) السابق.

اضطهاد الشيعة:

إن شيعة أهل البيت تحملوا الاضطهاد الفكري عبر مئات السنين ما لم يتحمله أي مذهب، كانوا يتهمون بالكفر والإلحاد والزندقة وفي العصر العباسي كان يقال للإنسان زنديقاً أفضل من أن يقال له علوياً، لأن الزنديق لا يحاسب أما العلوي يحاسب ويقتل، وكان صدام كذلك فاليهودي واليزيدي والملحد والنصراني في العراق ليس عليه شيء لكن الذي يذهب إلى زيارة الحسين عليه السلام هو ملاحق ومطارد ومحكوم عليه بالسجن، ومع الأسف حتّى في هذا الزمن فإن التشيع مظلوم وشيعة أهل البيت مضطهدون، حيث نسمع أبواقاً سيئة تتهم الشيعة _ وهم أصل الإسلام وحماة الإسلام _ بالكفر والإلحاد واليهودية ويحللون قتلهم.

نعم، هذا اضطهاد ثقافي ومع كل هذا فإن شيعة أهل البيت عليهم السلام هم دعاة الوحدة الإسلاميّة وينفتحون على المذاهب الأخرى ولا يؤمنون بالاضطهاد الفكري، والوحدة هي شعارهم ومنهج أئمّتهم.

* * *

المشكلة الثلاثون
الطغيان

حديثنا اليوم عن مشكلة إنسانية عامة هي مشكلة الطغيان وقد اعتبرها القرآن الكريم ظاهرة عامة في السلوك الإنساني حين قال: ﴿إِنَّ الإِنسانَ لَيَطْغى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى﴾.[1]

ظاهرة عامة:

الطغيان الذي ينعكس على صور كثيرة تتلخص كلها في حالة الطغيان، فالسرقة أصلها طغيان النفس الإنسانية والتكبر على الآخرين هو طغيان أيضاً، والتمرد على القانون، وتقطيع الأواصر الإجتماعية هو طغيان أيضاً.

الطغيان حالة عامة قد توجد عند الفقير وقد توجد عند الغني، عند المحكوم وعند الحاكم.

سبب هذا الطغيان حالة نفسية، فالإنسان حينما يشعر بالاستغناء عن الجيران يطغى عليهم وهكذا أبناء الأسرة الواحدة والدولة الواحدة والشعوب المتعددة.

كيف يعالج الإسلام ظاهرة الطغيان في مختلف الاتجاهات؟

الطغيان يمثل اليوم مشكلة عالمية، ولهذا فإن كل القوانين تحاول أن تعالجها أيضاً، فما هي المعالجة التي تطرحها؟

---

(١) العلق: ٦ و٧.

معالجة الظاهرة:

النظم البشرية تطرح معالجة يمكن أن نسميها بـ (المعالجة القانونية) والتي تعني وضع القوانين، فمن أجل ألاّ يطغى المدرّس في المدرسة يوضع له قانون وكذلك الوزير وكذلك التاجر ومن أجل تفعيل القانون يتم اعتماد أسلوب آخر هو أسلوب الرقابة، وتشديد الرقابة فهناك محاسب وفوقه مراقب، وفوقه هيئة تفتيش، هذا كله من أجل ألاّ يَطغى الإنسان.

حتّى نصل في المجال السياسي إلى تحديد مدة الرئاسة القانونية مثلاً بأربع سنوات، حتّى يعرف الرئيس أن هناك انتخابات بعد أربع سنوات فلا يَطغى.

المعالجة الإسلاميّة:

الإسلام يعطي معالجة أخرى _ إضافة إلى المعالجة القانونية _ نسميها المعالجة الذاتية وتبدأ من ذات الإنسان أنظر إلى قوله تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنسانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ﴾[1] فلماذا يَطغى الإنسان وهو كائن حقّير؟

﴿يا أَيُّهَا الإِنسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذي خَلَقَكَ فَسَوّاكَ فَعَدَلَكَ * في أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ﴾[2] أيها الانسان لماذا أنت مغرور؟ القرآن يذكرك فيقول: ﴿إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى﴾[3] ووراءك موت ورجوع إلى الله فلماذا الطغيان؟

---

(١) الطارق: ٥ - ٧.

(٢) الانفطار: ٦ - ٨.

(٣) العلق: ٨.

﴿أَرَأَيتَ الَّذي يَنْهى * عَبْداً إذا صَلَّى * أَرَأَيتَ إِنْ كانَ عَلَى الْهُدى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوى * أَرَأَيتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى﴾[1] **أيها الإنسان يا من تطغى وتتجاوز حينما تطغى في كلمة أو عمل ألا تفكر بأن الله يرى؟**

الإسلام يؤكد على أن دواء مرض الطغيان الذي هو أصل المعاصي هو التقوى.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغى وَآثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى﴾[2] **في هذه الآية تأكيد على ضرورة المعالجة الذاتية إلى جانب المعالجة القانونية والرقابة الشعبيّة والحكوميّة.**

نسأل الله أن يجنبنا الطغيان وأن يجعلنا من المتقين.

* * *

---

(١) العلق: ٩ - ١٤.

(٢) النازعات: ٣٧ - ٣٩.

المشكلة الحادية والثلاثون

التمرد على القانون

فلسفة التمرد:

فيما مضى من خطب الجمعة كنا نتناول مشكلة من مشاكل البشرية ومعالجة الإسلام لها، واليوم نتناول مشكلة عالمية إنسانية هي مشكلة التمرد على القانون، ولا يتصور البعض أنها موجودة في بلادنا الشرقية فقط فهي في الغرب أكثر مما هي في بلادنا، فالمرأة في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لا تستطيع النزول وحدها إلى الشارع مساءاً، والشرطة توصي المواطنين إذا أرادوا الخروج مساءاً بأن يخرج الفرد بدون مال وإذا تعرض له اللصوص فإن عليه أن لا يقاوم بل عليه أن يعطي ماله بسرعة وإلاّ فإنه سيعرض نفسه للقتل.

إن بلادنا الإسلاميّة بصورة عامة هي أكثر بلدان العالم أماناً، أنا لا أتحدث عن حالات الإرهاب الأخيرة المقصودة في العراق، إن مشكلة التمرد على القانون في الغرب تحولت اليوم إلى فلسفة تسمى (فلسفة التمرد) حيث هناك فلاسفة وعلماء وبحوث ورسائل جامعية ينظّرون فيها للتمرد على القانون، ويزعمون أن الحياة الأفضل هي التي تقوم على أساس التمرد على القانون لأن القانون يكبل الحريات على حد قولهم ونحن من دعاة الحريات فلا بدّ إذن أن نخرج على القانون.

الشيوعيّة والتمرد:

الشيوعية هي الأخرى دعت للتمرد على القانون والدولة بحجة أن القانون والأخلاق والدولة هي صنيعة الرأسماليين البرجوازيين فلا بدّ من الاطاحة بالقانون والأخلاق والقيم الدينية والدولة.

رؤية الإسلام:

أوّلاً: في الإسلام مبدأ احترام القانون سواءاً كان قانوناً وضعته الشريعة أو وضعه الناس أو وضعته مؤسسة خيرية أو مدرسة أو مسجد أو حسينية أو حزب فالإسلام يقول: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[1] و﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلاً﴾[2] والرواية تقول: «المؤمنون عند شروطهم»[3] فما اتفقوا عليه يجب أن ينفّذ، ولا بدّ من احترام القانون إن لم يخالف حكم الله طبعاً.

ثانياً: إن القانون الإلهي هو الأصيل والقوانين البشرية محترمة بمقدار ما لا تتعارض مع القانون الإلهي.

ثالثاً: تأخذ القوانين العامة قيمتها وشرعيتها من مصادقة الناس عليها، فالإسلام لا يقبل فرض القوانين بطريقة فردية وبعيداً عن الحالة المؤسساتية لأن شرعية القانون تكون من خلال وضع المواطنين وأبناء المجتمع له.

رابعاً: تنمية الوازع الذاتي، فالإسلام يربي الإنسان على الاندفاع

(١) المائدة: ١.

(٢) الإسراء: ٣٤.

(٣) التهذيب ٧: ٣٧١/ ح ١٥٠٣.

الذاتي للالتزام بالقانون وذلك على أساس الاعتقاد بوجود الرقابة الإلهية، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾،[1] ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى﴾.[2]

خامساً: وأخيراً تنمية الشعور العام بالمسؤولية «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[3] وهذه المفاهيم غير موجودة في الحضارة المادية التي ترسخ في الإنسان روح النفعية والأنانية.

وهكذا مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يشكل رقابة اجتماعية واسعة تساهم في الحد من حالة التمرد على القانون.

* * *

---

(١) الحديد: ٤.

(٢) العلق: ١٤.

(٣) بحار الأنوار ٧٢: ٣٨.

المشكلة الثانية والثلاثون
العلاقات الجنسية غير المشروعة

هذه المشكلة ليست خاصة بالعالم الإسلامي أو الشرقي بل هي مشكلة عالمية ولذا حتّى المذاهب اللادينية والحضارات الإباحية تواجه هذه المشكلة، لذا يضعون قانوناً يقضي بالسجن والغرامة والعقوبة على هذه العلاقات،[1] فحتّى المجتمعات الإباحية لديها علاقات مشروعة وعلاقات غير مشروعة ويحاول الغرب مع الاعتراف بالمشكلة أن يغطيها بغطاء ويلفها بلفاف تحت عنوان: الصداقة والحب العذري والحب البريء.

الحب العذري:

ففي قانون البلاد الغربية يحرم تعدد الزوجات وينكل الغربيون بالمسلمين بأن لهم قانون تعدد الزوجات ولكن تجد العمل ذاته

---

(1) جاء في جريدة المدى العدد ٦٨٠/ ٥ حزيران ٢٠٠٦ تحت عنوان:
بسبب التحرش.. تايوان تخصص قاطرات للنساء فقط:
تايبيه: انتشرت في الفترة الأخيرة مشاكل التحرش في المواصلات العامة والقاطرات بتايوان، لذلك قررت سكك حديد تايوان إضافة عربة للسيدات فقط في كل قطار لحماية الراكبات من المضايقات من قبل الركاب الذكور. وفعلت إدارة السكك الحديدية في تايوان العربة اخاصة بالمسافرات استجابة للشكاوى المتزايدة من قبل السيدات بشأن تعرضهن لمضايقات في القطارات ودعوات من أعضاء البرلمان الذين علموا عن الخدمة من اليابان. وستخصص آخر عربة في كل قطار للمسافرات. وستسير إدارة السكك الحديدية التايوانية الخدمة على سبيل التجربة لمدة ثلاثة أشهر.

بأضعاف مضاعفة تحت غطاء الصداقة، فالزوج له زوجة واحدة ولكن له في كل شهر صديقة يمارس معها ما يشاء ويسافر معها ويختلي بها بمرأى ومسمع من زوجته التي لا تستطيع أن تفعل شيئاً لأنه يقول هذه صديقتي، والزوجة كذلك لا يحق لها أن تعقد علاقات جنسية غير مشروعة مع الآخرين ولكن القانون أعطاها غطاء أو لفافاً باسم الصداقة والحب البريء وسمح أن يكون لها عشرة أصدقاء، في كل شهر صديق وفي كل سفر صديق تركب معه في السيارة والقطار لمدة شهر أو شهرين بعيداً عن زوجها المسكين وتسافر معه إلى دول أخرى والزوج مشغول بالكسب الحلال، تأتي إلى البيت مع صديقها والزوج يتفرج وبالعكس.

هذا الأمر سرى إلى عالمنا الإسلامي فأصبح يطرح خاصة في المجامع المختلطة كالجامعات والمدارس المختلطة وأخذ الشيطان يزينه للناس بأن هذا حب بريء وصداقة بريئة وعلاقة عذرية بين الفتى والفتاة، الشيطان يزين السيئات والفواحش بعناوين من هذا القبيل.

الإسلام والحب:

الإسلام لا يمنع الحب أساساً فإنه غير محرم بدءاً من حب الله ورسوله والذين آمنوا إلى حب الوالدين والأرحام وأولياء الله وجمع المؤمنين والمؤمنات إلى حب الزوج والزوجة، فلا مشكلة في الإسلام تجاه الحب بل انه قائم على ترسيخ هذه الغريزة الطيبة الايجابية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ وليس الحب لله ورسوله فقط بل للذين آمنوا رجالاً ونساءاً.

نحوان من الحب:

ولكن الإسلام يميز بين نحوين من الحب: الأوّل هو الحب الإنساني والثاني هو الحب الغرامي الجنسي الشهواني.

الأوّل صحيح ومطلوب ومؤكد في الإسلام للمؤمنين والأقرباء والأصدقاء والأسرة والجيران والصالحين والصالحات والعلماء وأولياء الله.

والثاني يضع الإسلام له حدوداً. يقول الإسلام إن الحب الجنسي الغرامي خاص بما أحله الله تبارك وتعالى في مجال العلاقات الجنسية وهي العلاقات الزوجية فقط.

الحل الغربي:

الحل الغربي لهذه المشكلة هو فتح الأبواب لهذه العلاقات اللامشروعة تحت عنوان الصداقة، يلتقي الفتيان مع الفتيات ويسافرون ويمارسون ما يشاؤون تحت هذا العنوان ثمّ تكشف الخيانة وتجري الخلافات والشقاق والتفكك الأسري. وهذا الحل أدى أيضاً إلى تصاعد نسبة الطلاق وانهدام الأسرة في الغرب.

قمع الحب:

الحل الآخر هو قمع هذا الحب بالقهر على طريقة التقاليد العشائرية العربية وغير العربية من خلال القتل والحبس وما شاكل ذالك.

وقد فشل هذا الحل لأن هذه الغريزة إيجابية خلقها الله في الإنسان ولا يمكن قهرها وقمعها.

الزواج المنقطع:

الحل الثالث هو الإنصراف إلى الزواج المنقطع المؤقت الذي أقرّه الإسلام وشرّعه بين الطلبة والطالبات في الجامعات وغيرهم حين لا تسمح لهم ظروفهم الإجتماعية والإقتصادية بتكوين الأسرة الدائمة.

ورغم أن الإسلام أحل الزواج المؤقت المنقطع إلاّ انه اعتبره حالة استثنائية ومعالجة لحالة استثنائية ولا يريد أن يعيش المجتمع حالة استثنائية كالمريض الذي يباح له استخدام المصل المغذي في حين لا يصح ذلك للإنسان المعافى بل عليه أن يتناول الطعام والفواكه الطازجة.

الزواج المنقطع يمثل علاجاً لواقع استثناء فلا يصح أن يكون علاجاً طبيعياً.

العلاج الطبيعي هو ما رسمه الإسلام عبر مجموعة نقاط ليكون المجتمع صحياً بحاجة إلى ممارسات صحية.

جوهر العلاج الإسلامي:

إن جوهر العلاج الإسلامي الطبيعي للمجتمع الطبيعي يتمثل فيما يلي:

١ _ فتح باب الزواج والتشويق والدعوة إليه بالحاح وهو عقد علاقات جنسية مشروعة دائمية، وتأكيد ذلك حتّى أصبح جزءاً من سنة رسول الله ﷺ ومن ليس له علاقات جنسية شرعية لم يستنّ بسنة رسول الله ﷺ.

٢ _ بناء العلاقات الزوجية السعيدة الإيجابية فليس المهم تحقق الزواج وحين يكون البيت عبارة عن جحيم تسوده الأخلاق السيئة

والمشاكل العائلية فتحدث الخيانة أيضاً، بل لا بدّ من تكوين علاقات طيبة والإسلام يريد نظام أسرة سالماً وصحيحاً.

٣ _ عدم قهر الفتاة على الزواج ممن لا ترغب، وحيث يمثل هذا الأمر ظاهرة في بعض الأوساط في العراق وغيره حيث تقهر الفتاة على الزواج ممن أعجب به الأب أو الأم بينما تبقى الفتاة المسكينة إلى آخر عمرها أسيرة شركة حياة غير مقتنعة بها، الإسلام يمنع من ذلك، وإذا كان هذا العقد مفروضاً على الفتاة فإنه عقد باطل والزواج باطل. الإسلام عظيم في معرفة حقوق الطرفين. فالفتاة يجب أن يكون لها رأي فلا قهر لها وهكذا الفتى.

٤ _ عدم ممانعة الأبوين لزواج الأبناء بطريقة وأخرى، بأن يؤجل الأب زواج ابنه بحجة دراسته وعمله وهكذا يتمادى الشاب في عمره وينصرف إلى العلاقات المحرمة وهكذا الفتاة.

٥ _ وأخيراً التحذير من مكائد الشيطان فالإسلام يقول: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾.(١)

لقد فشل الغرب في حل مشكلة الخيانة الجنسية، وأصبح في حالة يرثى لها حيث أصبح يقر الشذوذ الجنسي على مستوى الملايين حتّى تحولت الكنيسة في بعض بلدان أوربا إلى موضع لأجراء عقود الزواج للشذوذ الجنسي، وأخذ الغرب يؤسس مؤسسات للزواج الحيواني بين المرأة والكلب بصورة رسمية وعلنية بلغ الغرب هذا المستوى من الانحطاط.

---

(١) النور: ٣٠ و٣١.

نسأل الله أن يعيننا على تزكية نفوسنا، وحل مشاكلنا ويجعلنا عباداً صالحين ومجتمعاً صالحاً ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.(١)

* * *

---

(١) النحل: ١٢٨.

المشكلة الثالثة والثلاثون

المراهقون والمراهقات

وهي مشكلة عالمية[1][2] وكل العالم يتحرك اليوم لحلها، لأنها أصبحت

---

(1) جاء في جريدة العدالة العدد ٦٤٥/ ٤ حزيران ٢٠٠٦ تحت عنوان:

لماذا ينتحر اليابانيون؟

أشارات إحصائيات الوكالة الوطنية للشرطة في اليابان إلى أن ٣٢/٥٥٢ يابانياً انتحروا العام الماضي وسجلت فئة الشباب أكبر زيادة في حالات الانتحاصر وزاد معدل الانتحار بشكل طفيف بلغ ٠/٧ بالمئة في عام ٢٠٠٥ مقارنة بما كان عليه في عام ٢٠٠٤ وسجلت حالات الانتحار في الفئة العمرية في الستينات من العمر أو أكبر معدلاً بلغ ١٠/٨٩٤ غير أن حالات الانتحار في تلك الفئة العمرية تراجعت بسنبة ٠/٩ بالمئة مقارنة بما كانت عليه في عام ٢٠٠٤ عندما بلغ عدد حالات الانتحار بين من هم في الخمسينات من أعمارهم ٧/٥٨٦ بانخفاض بنسبة ٢/٤ بالمئة. وقالت الوكالة إنه في الوقت الذي تراجع فيه معدل الانتحصار بين المسنين من اليابانيين العام الماضي ارتفع معدل الانتحار بين الشبان بصورة كبيرة. وارتفع عدد حالات الانتحار بين من هم في الأربعينات من العمر بنسبة ٢/١ بالمئة ليصل إلى ٥/٢٠٨. وكان ٤/٦٠٦ شخص في ثلاثينات العمر انتحروا العام الماضي بارتفاع ٦/٣ بالمئة مقارنة بعام ٢٠٠٤ وبلغ عدد الأشخاص الذين انتحروا في العشرينات من أعمارهم ٣/٤٠٩ بزيادة نسبتها ٥ بالمئة. وتجاوز المعدل السنوي للانتحار في اليابان ٣٠ ألف منذ عام ١٩٩٨ وأوضحت الوكالة أن المشكلات الصحية كانت أحد أكثر الأسباب وراء حالات الانتحار بالاضافة للصعوبات المادية وأخرى متعلقة بالمعيشة والمشكلات الأسرية.

(2) وجاء أيضاً تحت عنوان:

تولد مشكلات أخرى، وهذه المشكلة تأخذ حجماً أكبر في العراق لأن المجتمع العراقي شاب، أي ان أكثره من فئة الشباب والشابات وبالتالي تكون مشكلة المراهقين فيه حادة إضافة إلى تبعة الحروب والسجون والمقابر الجماعية التي أدت إلى مضاعفة مشكلة المراهقين وهكذا الدمار والحصار والمآسي الداخلية التي حولت هذه المشكلة إلى مشكلة أولى في العراق.

مناشئ المشكلة:

وفي هذا العصر تعتبر مشكلة المراهقين والمراهقات مشكلة

الموافقة على دراسة لبحث سبل وقف حالات الانتحار من أعلى جسر جولدن جيت:

سان فرانسيسكو (رويترز) – وافق مسؤولون محليون على اجراء دراسة حول التعديل المحتمل الذي يمكن ادخاله على جسر (جولدن جيت) لوقف حالات القفز من فوق أشهر موقع للانتحار في أمريكا.

وتأتي الدراسة التي تعد أكثر الدراسات شمولاً على مدار جيل كامل عقب ما يزيد على عام من تجدد النقاش في المسألة التي ابتلي بها هذا الجسر المميز البالغ طوله ثلاثة كيلومترات والذي يربط بين سان فرانسيسكو ومنطقة مارين هيدلاندز. وقفز ما يزيد على ١٣٠٠ شخص من أعلى الجسر ليلقوا مصرعهم وذلك منذ افتتاحه أمام الجمهور عام ١٩٣٧. ويوجد عدد ثابت من الأشخاص المصابين بالاحباط الذين يقدمون على الانتحار هناك كل عام مما يجعل من الجسر ربما أكثر المواقع التي تشهد حالات انتحار على مستوى العالم.

ورفض المسؤولون الدعوات السابقة باقامة حاجز لمنع الانتحار حيث تعللوا ليس فقط بأسباب جمالية لكن أيضاً بسبب المخاوف بأن يؤثر مثل هذا الحاجز على قدرة الجسر على الصمود بقوة أمام الرياح التي تهب من المحيط الهادي.

حادة وعالمية والحديث فيها مهم وحساس ومفصل، والمشكلة تنشأ من وجود طاقات متفجرة لا تجد فرصاً في المجتمع.

تنشأ هذه المشكلة من ثلاثة أمور تستجد عند الشاب أو الشابة من عمر الثامنة عشر وحتّى عمر الثلاثين بشكل فعّال.

الأمر الأوّل: بداية تكّون الشخصية حيث يشعر الشاب بأنه صار إنساناً مؤثراً وعضواً فاعلاً في المجتمع ويحتاج إلى احترام الآخرين وسائر مقومات الشخصية.

والأمر الثاني: هو الطموح لتكوين الحياة الإجتماعية المستقلة يعني التفكير في المستقبل في تكوين البيت والحصول على العمل والقيمة الاجتماعية وهكذا يفتح عليه آفاق الحياة الدنيوية، وتتكون لديه مجموعة من الإرادات والأماني المستقبلية ولكن الواقع الإجتماعي والأسري قد لا يستطيع الاستجابة لتلك الإرادات.

والأمر الثالث: عنفوان الشهوة الجنسية وهو يريد الاستجابة لهذه الغريزة الجنسية العارمة ولكن الواقع الإجتماعي والأسري لا يستطيع تلبية هذه الحاجة، ولذا تنشأ حالة الاصطدام بين المراهق والواقع المعاش لاستحقاقات هذه المستجدات.

مناهج حل المشكلة:

هناك ثلاثة مناهج لحل هذه المشكلة:

المنهج الأوّل: إطلاق الشهوات:

وهو المنهج الغربي ليفعل الشاب والشابة ما يريد بلا قيد أو شرط ولكن الغربيين وصلوا إلى نهاية النفق المسدود فهناك احصاءات كبيرة تتحدث عن

الجريمة في الغرب وازدياد حالات التمرد لدى المراهقين والمراهقات وازدياد حالات البؤس والشقاء، حينما أطلق الشهوات كانت النتيجة زيادة الانتحار، وأخيراً بدأ الغرب بالعودة إلى الله والقيم الأخلاقية بعد تجربة مرة رافقوا فيها الشيطان وتركوا فيها التعاليم الدينية الصحيحة.

المنهج الثاني: كبح الشهوات:

هو المنهج التقليدي هو عبارة عن كبت وقمع الشهوات والالتزام بالأعراف العشائرية أو الكنسية التي تدعو إلى الرهبنة وكبت الشهوات، وكذلك المنهج السلفي المتحجر الذي يلاحق التمدن ويحرّم الممارسة الجنسية المشروعة وهي (الزواج المنقطع) الذي شرعه الإسلام لمعالجة مشكلة المراهقين والمراهقات. حيث يقول الفكر السلفي إن هذا الزواج حرام وبدعة وطريقته في التعامل مع الملايين من الشباب والشابات بكبت الشهوات والاتهام بالكفر والتمرد على الله، وقد وصل هذا النهج إلى الطريق المسدود لأن هذه الشهوات وضعت من قبل الله تعالى في الإنسان فلا يجوز إلغاؤها.

المنهج الثالث: تهذيب الشهوات:

وهو المنهج الإسلامي الذي دعا إليه الإسلام، فالإسلام يدعو إلى تهذيب الشهوات وليس قمعها، فالقرآن يقول: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾[1] وقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[2] فلم يقل بقمع الشهوات ولم يحرم العلاقات المشروعة بين

(١) النور: ٣٠.

(٢) النور: ٣١.

الشبان والشابات في حدود الشرع، الإسلام فتح باب الحلال ولكن ماذا نصنع عندما أغلقوا باب الحلال وفتحوا باب الحرام.

الزواج المنقطع:

اليوم توجد مأساة حقيقية في جامعات الدول العربية والإسلاميّة فملايين الشبان والشابات يقيمون علاقات غير شرعية وهناك إباحية مختلطة ولكن باب الزواج الشرعي مغلق بسبب الظروف الإقتصادية وعدم توفر الظروف المساعدة الأخرى أو عندما يريدون ممارسة الزواج المنقطع الذي شرّعه رسول الله ﷺ يتهمونهم بأنهم رافضة.

أيها المؤمنون والمؤمنات في الجامعات العراقية وغيرها عليكم بأبواب الحلال وإغلاق أبواب الحرام والشيطان، القران يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ والإمام عليّ عليه السلام يقول: «إن أخوف ما أخاف عليكم، اتباع الهوى وطول الأمل»[١] الهوى يعني إطلاق العنان للشهوات، والحديث مفصل في هذا الموضوع وبيان كيفية فتح باب الحلال للشبان وللشابات في الوقت الذي أغلقت عليهم هذه الأبواب بسبب ظروف إقتصادية أو أعراف عشائرية أو مذاهب قد فرضت على الإسلام الأصيل.

حوافز لتصعيد المشكلة:

هناك أسباب تكوينية لهذه المشكلة تتمثل في الطاقات المتفجرة في الشبان والشابات لكن هناك عوامل مساعدة لتثوير المشكلة منها:

(١) نهج البلاغة ١: ٧٢.

١ _ عوامل الإثارة والتحفيز من خلال الأفلام الخليعة والصور والمحافل الغنائية والتبرّج والحياة المختلطة.

٢ _ عوامل الضغط والإهمال من قبل الوالدين داخل الأسرة مما يضطر الشاب فيتحول إلى التمرد على الأبوين.

٣ _ الفراغ والبطالة عند الشباب.

بعض الحلول:

الإسلام يضع أربعة حلول للمشكلة:

١ _ الاستجابة للأسباب التكوينية لدى الشاب والشابة من خلال الزواج الشرعي.

قال رسول الله ﷺ: «النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني»[١] فالإسلام يجعل مشروع الزواج من المستحبات الأكيدة بل من الواجبات أحياناً.

٢ _ المنع من الإثارة المقصودة من خلال تحريم الغناء ومجالس الرقص والنظر بريبة والاختلاط غير الشرعي لأنها عناصر إثارة مقصودة وليست تكوينية فالإسلام يقف بالضد من هذه الممارسات غير الشرعية.

٣ _ المنع من عوامل الضغط والإهمال في داخل الأسرة، فالإسلام يوصي برعاية الأبناء وخصوصاً في مرحلة البلوغ والمراهقة بل يوجب على الأبوين التفكير بالمستقبل الأفضل لهم.

(١) بحار الأنوار ١٠٠: ٢٢٠.

٤ ـ تنظيم العلاقات الجنسية المشروعة وفق الضوابط الشرعية، قال تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾[1] فالإسلام يسمح الإستجابة للحاجات الجنسيّة ولكن بشكل مشروع.

وقد وردنا سؤال بهذا الصدد: هل يشترط إذن الولي في زواج البنت الباكر زواجاً منقطعاً؟

إذن الأب:

الجواب: إذا كانت البنت الباكر تملك أمرها أي كانت راشدة عاقلة بالغة مستقلة في تصرفاتها فلا يشترط إذن الولي في زواجها على رأي بعض الفقهاء، وإلاّ فإذن الولي شرط في صحة زواجها، وهذا الاشتراط على سبيل الاحتياط وهو المشهور بين الفقهاء فترك البنت في الجامعات وغيرها دون رقابة من الولي يؤدي إلى المخاطر على حياة البنت بسبب الاختلاط المريب في هذه الجامعات فالمطلوب تحويل هذا الجوّ المريب في الجامعات إلى علاقات شرعية بين الطلبة والطالبات من خلال الزواج المنقطع بعد إذن الولي للبنت.

مسؤولية المجتمع والدولة:

على الحكومة تفعيل الحلول الإسلاميّة، وعلى الإنسان الفرد والمجتمع تفعيل هذه الحلول.

أهمية الشباب:

من أهم الوصايا الإسلاميّة هي الرعاية الخاصة للشباب. بدءاً من

(١) الأحزاب: ٣٥.

الرعاية الأسرية إلى الرعاية المدرسية إلى الرعاية الإجتماعية إلى الرعاية الحكومية، فالإسلام يطلب الرعاية لهذه الطبقة، فالله يحبهم.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الشاب التائب».[1]

إنها طبقة صالحة ومحبوبة عند الله، وقد خصها بمحبة خاصة، وعلى أساس ذلك يكون الجميع مسؤولين أمام هذه الطبقة، فالأب في البيت مسؤول عن تقديم رعاية خاصة لها، وكذلك الأم، المدرسة، المدرس، المعلم، الدولة، الحوزة والمبلغ الديني.

ففي رواية يسأل الإمام الصادق عليه السلام بعض أصحابه: «أتيت البصرة؟» قال: نعم. قال له: «كيف رأيت مسارعة الناس في هذا الأمر ـ يعني الإيمان ـ؟» قال: والله انه لقليل، فقال عليه السلام: «عليك بالأحداث ـ الشباب ـ فإنهم أسرع إلى كل خير».[2]

ولهذا نؤكد هنا على مسألة الرعاية الخاصة للشباب.

فالدولة عليها ثلاث مسؤوليات كبرى: التعليم أوّلاً، وإيجاد فرص العمل للشباب العاطلين ثانياً، وتزويج الشباب والمساعدة على ذلك ثالثاً، وهي مسؤولية الدولة تجاه من لا يتمكن من ذلك من خلال توفير فرص العمل أو إعطاء سكن له ومنحة للزواج، هذا هو واجب الدولة في الإسلام، وهذا ما نراه في بعض الدول الغربية، فالشاب الذي لا يمارس عملاً يُعطى له راتب وتوفر له شقة للزواج وإذا لم تَقم الدولة بذلك فالأب مسؤول عن ابنه وابنته.

(١) كنز العمال ٤: ٢٠٩.

(٢) الكافي ٨: ٩٣.

ورد عن رسول الله ﷺ: «من حق الولد على والده ثلاث: يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة، ويزوجه إذا بَلَغ»[1] باعتباره ولياً وكذا الدولة من باب الولاية.

أتحدث هنا على مستوى النظرية فإن الدولة في العراق فعلاً ربما تكون غير قادرة على ذلك بسبب الظروف غير الطبيعية، فالدولة عليها واجبات تجاه الشعب مثلما لها حقوق.

أدعو الأخوة في الجمعية الوطنية ومجالس المحافظات لتشكيل لجان لبحث مشاكل الشباب وحلها، وأدعو السادة العلماء والخطباء والمبلغين إلى أن يكون لهم اهتمام خاص بشؤون الشباب، فهولاء يحتاجون إلى لغة خاصة لاستيعابهم وحل مشاكلهم،كما أدعو الأخوة المدرسين والمدرسات في الإهتمام بمشاكل الشباب وليس إلقاء الدروس المقررة في المنهج فقط، فالشاب محتاج إلى من يفهم مشاكله ويحلها له، ويكون له بمثابة الطبيب.

* * *

(١) بحار الأنوار ٧١: ٨٠.

المشكلة الرابعة والثلاثون

الفساد الإداري

وهـي مـن المشـاكل العالميـة التـي تشـكو منهـا معظـم الـدول والشعوب أو كلهـا وفـي العـراق ارتفـع مؤشـر الفسـاد الإداري إلـى أعلـى مستوياته، وهي مشكلة تأتي بعد مشكلة الإرهاب في العراق.

نظامان لمعالجة المشكلة:

الإسـلام يعتقـد انـه لا بـدّ مـن الجمـع بـين نظـامين لحـل مشـكلة الفساد الإداري:

١ _ نظام الثواب والعقاب الدنيوي.

٢ _ نظام الثواب والعقاب الأخروي.

ونشير إلى ذلك على سبيل الإيجاز.

قانون العقوبات:

ففـي النظـام الأوّل يـؤمن الإسـلام بضـرورة وضـع قـوانين صـارمة لحفـظ حقـوق النـاس، وعـدم التلاعـب بهـا مـن قبـل المسـؤولين وكمثـال على ذلـك نـذكر قصـة سـليمان النبـي عليه السلام مـع الهدهـد باعتبـار أن حكومـة سـليمان كانـت نموذجـاً للحكومـة الدينيـة وقـد أُشـير إلـى ذلـك بقولـه: ﴿وَتَفَقَّـدَ الطَّيْـرَ فَقَـالَ مَـا لِـيَ لا أَرَى الْهُدْهُـدَ أَمْ كَـانَ مِـنَ الْغَـائِبِينَ﴾[1] فـالنبي

(١) النمل: ٢٠.

سـليمان عليه السلام يكشـف فـي هـذا القـول عـن قـوانين إداريـة صـارمة مـع المسؤولين فـي دولتـه حتّـى مع الهدهـد الـذي بُعِـثَ إلـى عمـل لكنـه تـأخر عـن سـليمان عـدة سـاعات، كمـا تـذكر بعـض الروايـات أنـه تـأخر إلـى غـروب الشـمس لا أكثـر فهـدّده سـليمان بالـذبح أو تقـديم الحجـة والـدليل علـى تـأخره حـين قـال: ﴿ لأُعَذِّبَنَّـهُ عَـذاباً شَـدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّـهُ أَوْ لَيَـأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾[1] وهذا نموذج للحساب الإداري الشديد في الإسلام.

قانون الثواب والعقاب الأخروي:

أمـا فـي النظـام الثـاني وهـو نظـام الثـواب والعقـاب الأخـروي فهـو مهـم جـداً وتفتقـده الـنظم غيـر الإسـلاميّة، نظـام يخاطـب جميـع المسـؤولين فـي كـل مواقـع عملهـم حتّـى الرعيـة ويقـول لهـم إنكـم بعـين الله تعـالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَـمْ بِـأَنَّ اللَّـهَ يَـرى﴾[2] فأينمـا كنـتم فـأنتم تحـت النظـر الإلهـي وهـي نقلـة مهمة جداً للإنسان.

ففي الروايات الشريفة: «درهم حلال خير من ألف درهم حرام».[3]

وروايـة أخـرى تقـول: «دخـل رجـل الجنّـة بغصـن مـن شـوك كـان في طريق المسلمين فأماطه عنهم».[4]

وكمثـال على ذلـك عامـل البلديـة المخلـص فـي عملـه فإنـه حتّـى لـو لم يراقبه مسؤول العمل فإنه حين يعمل فهو بعين الله وتحت رقابته.

(١) النمل: ٢١.

(٢) العلق: ١٤.

(٣) بحار الأنوار ٣٣: ٢٥٠.

(٤) أنظر: الخصال للصدوق: ٣٢ وفيه زيادة ونقيصة.

وفي رواية ثالثة تقول: «الخلق عيال الله وأقربكم إلى الله أحسنكم لعياله»[١] فأقرب الناس إلى الله هو من يقدم خدمة لهؤلاء العباد.

وفي آية تشير إلى ذلك: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[٢] يعني أن المطفف عندما يبيع ولا يستوفي حق الميزان، يأخذ الكثير ويعطي القليل وهذه ليست في الموازين والمكاييل فقط بل تنطبق على كل من يتعامل مع الناس ولم يعطهم حقهم. فلو لم تكن هناك رقابة وحساب في الدنيا ألا يفكر الإنسان في عذاب الآخرة وشدة الحساب يوم القيامة.

بالأمس وصلتني رسالة من أحد الأشخاص في منطقة الجديدات المحرومة من أبسط الحقوق وتعاني من الحرمان والإهمال منذ عشرات السنين ويزيد سكانها على مائة ألف نسمة وعندما جاء الحكم الجديد بعد سقوط نظام صدام بقي هذا الحرمان وفي أعلى مستوياته، وهذه الحالة موجودة في كل المحافظات، فلا ماء ولا كهرباء ولا شوارع مبلطة والمدارس مكتظة بالطلاب والشوارع مليئة بالنفايات والصحة مفقودة ، اليوم توجد اهتمامات لهذه المنطقة من قبل المسؤولين في المحافظة.

فضل المحرومين:

وأنا أنقل رواية لهؤلاء المحرومين وأمثالهم عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة قام عنق من الناس حتّى يأتوا باب الجنّة فيضربون الباب ليدخلوا فتقول لهم الملائكة: من أنتم؟

(١) أنظر: بحار الأنوار ٧١ وفيه اختلاف.

(٢) المطففين: ١.

فيقولون: نحن الفقراء فيقال لهم: أقبل الحساب؟

فيقولون: ما أعطيتمونا شيئاً حتّى تحاسبونا عليه.

فيقول الله عز وجل: صدقوا أُدخلوا الجنّة».[١]

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله تعالى يلتفت إلى المؤمنين يوم القيامة شبيهاً بالمعتذر إليهم فيقول لهم: وعزتي وجلالي ما أفقرتكم في الدنيا من هوان بكم عليّ ولترون ما أصنع بكم اليوم.

فيقولون: يا ربنا إن أهل الدنيا تنافسوا فيها ولبسوا الملابس الفاخرة وسكنوا الدور والقصور فاعطنا ما أعطيتهم.

فيقول الله عز وجل: لكل عبد منكم مثل ما أعطيت أهل الدنيا بأجمعهم من أوّل الدنيا إلى انقضائها سبعون ضعفاً».[٢]

وبهذا الصدد أشد على أيدي المسؤولين في العراق وفي النجف بشكل خاص في ملاحقة الفساد الإداري من خلال تغيير المسؤولين الذين ثبتت إدانتهم بالفساد الإداري.

ضرورة التغيير:

أحياناً يعلم الوزير بفساد المسؤولين ولكن لا يغيره بعذر عدم وجود البديل المناسب، وهو عذر غير مقبول، نحن نقول لا بدّ من تغييرهم وهم يمثلون شؤماً لتلك الدائرة، ولا خير يدخل فيها فهناك عناصر كفوءة ونزيهة قادرة على إدارة هذه الدائرة أو غيرها بشكل صحيح، ونحن بحاجة إلى شجاعة لدى المسؤولين كشجاعة أمير

(١) الكافي ٢: ٢٦٥.

(٢) أنظر: شرح أصول الكافي ٩: ٢٢٤.

المؤمنين عليه السلام عندما رفض إبقاء معاوية حتّى ليلة واحدة على ولاية الشام، وفي الوقت الذي نشد على أيدي المسؤولين نشكرهم على كل الجهود التي يبذلونها في خدمة الناس، الطبيب وعامل البلدية وغيرهم والعراق المظلوم المحروم، عراق أهل البيت عليهم السلام يستحق هذه الخدمة وننتظر من الإخوة في المحافظة ومجلس المحافظة الذين هم في عمل دائب المزيد من الجد والعمل لبناء العراق وهذه المحافظة بالذات.

* * *

المشكلة الخامسة والثلاثون

التمييز الجنسي

هناك ألوان من التمييز، تمييز قومي وطائفي وقَبَلي وغيرها وهي من المشاكل الإنسانية الكبرى في العالم ومنها التمييز الجنسي المتمثل بتفضيل الرجل على المرأة واضطهاد المرأة، وهو ناشئ من ثقافة التمييز الجنسي وهذه الثقافة موجودة في الدول الإسلاميّة وغير الإسلاميّة.

خطوات معالجة:

ولحل هذه المشكلة، وضع الإسلام ثلاث خطوات:

١ ـ تجذير ثقافة المساواة.

٢ ـ ثقافة المحبة والتقدير.

٣ ـ القوانين الرادعة.

ثقافة المساواة:

وهذه الخطوات قد انفرد بها الإسلام دون غيره من النظم الأخرى في العالم، ففي ثقافة المساواة الجنسية أكد الإسلام بأفضل تعبير مجموعة مفاهيم مثل: «كلكم لآدم وآدم من تراب».[1]

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾.[2]

(١) بحار الأنوار ٣١: ٣٥.

(٢) الحجرات: ١٣.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾.[1]

﴿هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ﴾[2] كما أكد على ثقافة المحبة والتقدير والتكريم لكلا الطرفين وليس ثقافة الشهوة الجنسية.

ثقافة المحبّة:

ففي رواية قال رسول الله ﷺ وهو النموذج الأوّل في الإسلام: «حُبِّب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني الصلاة»[3] ولا يقصد هنا من حب النساء الحب الجنسي بل الحب الإنساني وتقول رواية أخرى: «كلما ازداد العبد إيماناً ازداد حباً للنساء»[4] فالحب المقصود هنا هو الحب الإنساني النابع من التقدير والاحترام المتبادل والتكريم، أما الحب الجنسي فهو لا يعبر عن حالة تكاملية بل هو ضرورة من ضرورات الحياة كما هو في حب الطعام والمنام، وهذا الحب والتقدير يؤكده القرآن الكريم عندما يقول: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[5] فالآية تشير إلى المودة والرحمة التي جعلها الله بين الزوجين لاستمرار الحياة الزوجية بالمحبة والاحترام والكرامة المتبادلة.

وقال أيضاً: ﴿وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.[6]

(١) التوبة: ٧١.

(٢) البقرة: ١٨٧.

(٣) الحدائق الناضرة ١: ٢٦٤.

(٤) بحار الأنوار ١٠٠: ٢٢٨.

(٥) الروم: ٢١.

(٦) النساء: ١٩.

وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[1] فالآية تشير إلى حقوق متقابلة بين الرجل والمرأة.

وأمير المؤمنين عليه السلام أشار إلى وصية الرسول صلى الله عليه وآله في آخر ساعاته حيث أوصى بالنساء والأيتام حينما قال: «الله الله في الضعيفين النساء والأيتام فإنه آخر ما تكلم به نبيكم».

القوانين الرادعة:

أما الخطوة الثالثة فهي ثقافة القوانين الرادعة حيث وضعت هذه القوانين لردع حالات التجاوز والظلم من أحد الطرفين على الآخر، فهنا لا يكفي النصح فلا بدّ من وضع حد للتجاوز من خلال جمعيات أو مؤسسات تدافع عن حق المرأة أو الرجل إذا ظُلم أحدهما من قبل الآخر، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا﴾[2] ويقول أيضاً: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[3] فكما أن المرأة يمكن أن تكون ناشزة ولا تؤدي حقوق الزوج كذلك الرجل فلا بدّ من إعطاء كل ذي حق حقه.

* * *

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) النساء: ٣٥.

(٣) النساء: ١٢٨.

المشكلة السادسة والثلاثون

العنف والتطرف

تاريخ العنف:

وهي مشكلة قديمة بقدم البشرية وبدأت من يوم اعتداء قابيل على هابيل حيث كانت ممارسة عنف من قابيل وسببها انهما قدما قرباناً إلى الله تعالى فتقُبل من أحدهما وهو هابيل ولم يُتقبل من الآخر وهو قابيل فدعا ذلك إلى أن يقتل قابيل أخاه هابيل المؤمن فقال هابيل: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أَنَا بِباسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾.[1]

هو نوع من العنف والتطرف بسبب تقبل قربان أحدهما لإخلاصه وورعه وعدم تقبله من الآخر لعدم توفر تلك الشروط فيه، وقد تطور هذا العنف من عنف فردي إلى عنف قبلي وعنف قومي وعنف طائفي وعنف فئوي وعنف سياسي وعنف حكومي وعنف عالمي حيث تطورت أساليب العنف.[2]

---

(1) المائدة: ٢٨.

(2) جاء في جريدة الدستور العدد ٨١٥/ ١٦ آيار ٢٠٠٦ تحت عنوان:

الجرائم العنصرية في لندن:

كشف تقرير أمني بريطاني عن استمرار ارتفاع حجم الجرائم العنصرية في العاصمة البريطانية لندن. وذكرت صحيفة (الاندبندنت) في عددها الصادر، أوّل أمس، أن هذا التقرير المعد من قبل رئيس شرطة لندن، يؤكد أن السود في لندن أكثر تعرضاً للوقوع كضحايا لجرائم القتل من غيرهم من السكان. \

رفض العنف:

الإسلام يعتبر العنف والتطرف ظاهرة مرضية لا صحية فالعنف والتطرف مرفوض في مختلف المجالات كالممارسات اليومية مع الآخرين والمخاطبات الدولية والسياسية حتّى مع العدو والحيوان، فيحرم قطع الأشجار وإحراق المزارع العائدة للعدو أثناء الحرب، وهكذا قطع الماء على العدو واستعمال المواد الكيمياوية المحرمة، وقد أقر الإسلام ذلك قبل ألف وأربعمائة عام وهي التي أقرتها معاهدات جنيف في هذا العصر، لقد تنبه لها الإسلام وجعلها ضمن تشريعاته المحرمة، ووردت في النصوص الشرعية.

الخشونة في ذات الله:

ويبقى ومن أجل استكمال الصورة في الرؤية الإسلاميّة أن نؤكد على أن هناك ثلاثة مفاهيم:

المفهوم الأوّل: العنف وهو ظاهرة مرفوضة وتعني القسوة في التعامل مع الآخرين.

والمفهوم الثاني: هو الخشونة في ذات الله وهي ظاهرة صحية فقد وصف رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام بأنه: «أخيشن في ذات

]

وأوضح التقرير أن جرائم القتل التي تستهدف السود تبلغ نسبتها أربعة أضعاف هذه الجرائم بين بقية سكان لندن، على الرغم من أن السود لا يشكلون إلا نسبة ١١ في المائة من سكان المدينة التي تبلغ نسبة سكانها من البيض ٧٤ في المائة ومن الآسيويين ١٢ في المائة.

الله»[1] وهي تعني الموضوعية الدقيقة في التعامل مع الآخرين دون المحسوبيات مع الأقارب والأصدقاء فالكل عنده سواسية أمام الحق، فكان عقيل ابن أبي طالب وغيره عنده سواء في العطاء والتعامل.

والمفهوم الثالث: هو الشدة على أعداء الله قال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾[2] وهو غير مفهوم العنف المذموم بل هي ممارسة صحية وتعني الجدية في تطبيق القانون، فالسارق يجب قطع يده عند ثبوت السرقة عليه وكذا الكافر المعتدي يجب قتله ويجب أن تكون هناك جدية وصرامة في المواقف وترك المحاباة مع أعداء الله وقد مدح الله المؤمنين حينما قال: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[3] هذا المفهوم يعبر عنه بالجدية في تطبيق القانون وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾.[4]

المعالجة الإسلاميّة:

هناك سؤال: كيف يعالج الإسلام ظاهرة العنف؟

الإسلام يدين صور العنف ويدعو لثلاث معالجات:

١ _ المعالجة الذاتية: وفيها يقوم الإسلام بتربية الفرد تربية صالحة قائمة على أساس المحبة والرفق ليجعل منه فرداً طيباً ووديعاً في البيت والمجتمع.

---

(1) عمدة صحاح الأخبار: ٢٧٣.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) السابق.

(٤) النور: ٢.

قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لم يوضع على شيء إلاّ زانه ولا نزع من شيء إلاّ شانه»[1] فالرفق مطلوب في كل الأحوال وفي جميع الظروف، في البيت مع العائلة وفي المدرسة وفي الشارع وفي الدائرة بل وحتّى في ساحة كرة القدم ومع الحيوان، فالإسلام ينهى عن الخشونة في كل شيء.

وقال الباقر عليه السلام: «من قُسم له الرفق قُسم له الإيمان»[2] فمن كان لديه شيء من الرفق دل ذلك على إيمانه لأن الرفق شعبة من شعب الإيمان، وقد تنبه الغرب لهذا المفهوم وأدخلوا منهج حقوق الإنسان في المدارس لنشر ثقافة الرفق في التعامل مع الآخرين.

ويقول الإمام الباقر عليه السلام في هذا الصدد: «إن الله عزّ وجلّ رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف».[3]

وقال الصادق عليه السلام: «أيّما أهل بيت أعطوا حظهم من الرفق فقد وسّع الله عليهم من الرزق».[4]

٢ _ المعالجة التشريعية: وهي تعني سن القوانين الرادعة والصارمة في مواجهة العنف حتّى يصل إلى الإعدام، وقد عاد الغرب إليه بعد تجميده فترة من الزمن، ففي مجال السرقة والتعدي على حقوق الآخرين يوجب الإسلام قطع اليد، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ

---

(١) الكافي ٢: ١١٩/ باب الرفق/ ح ٦.

(٢) الكافي ٢: ١١٨/ باب الرفق/ ح ٢.

(٣) الكافي ٢: ١١٩/ باب الرفق/ ح ٥.

(٤) الكافي ٢: ١١٩/ باب الرفق/ ح ٩.

﴿وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما﴾[1] فلا بدّ من معالجة قانونية صارمة أمام الإرهاب الذي يريد الفتك بأرواح الناس، والقرآن سجل موقفاً وسنّ تشريعاً بسبب حادثة قتل قابيل لأخيه هابيل قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾[2] فالسكوت عن هذه الجريمة سوف ينشر القتل في البشرية، لذا شرع القصاص من القاتل المتعمد.

٣ _ المعالجة الثالثة وهي الضربة الاستباقية: وهي غير مقرة من قبل الشعوب ولا الشرائع السماوية بل أوجدتها القوى الكبرى في العالم وتستند إلى مفهوم القصاص قبل الجناية وهو مرفوض في الإسلام ولا يقره التشريع الإسلامي، ومثاله قتل الطفل لئلا يكبر ويصبح سارقاً أو مجرماً، وهو ما تفعله الدول الاستكبارية في العالم عندما تريد ضرب بعض الدول بحجة أن فيها ارهاصات أو مقدمات للإرهاب فتؤجج نار الإرهاب ثمّ تقمعه، ولذا نلاحظ انتشار ثقافة الإرهاب لدى مجموعات متمردة في العراق والسعودية وإيران وسوريا وغيرها من الدول بسبب الممارسات الخاطئة للدول الكبرى، وقد استخدمه صدام ونظامه لمحاربة المؤمنين فقد كان من يصلي في المسجد أو يطالع كتاباً إسلامياً يتعرض للتصفية والاعتقال والسجن بحجة أن هذا سوف يصبح عنصراً معادياً للثورة والوطن بمفهوم نظام صدام فيجب القضاء عليه.

(١) المائدة: ٣٨.

(٢) المائدة: ٣٢.

الإسلام يرفض هذه المعالجة ولا يجيز القصاص قبل الجناية، كما نجد تطبيق ذلك من قبل الإمام عليّ (عليه السلام) مع طلحة والزبير عندما خرجا من المدينة بعدما بايعاه وقالا نريد العمرة وكان الإمام عليّ (عليه السلام) يعلم بنيتهما فقال لهما: «وإنما تريدان الغدرة»[1] ولكن لم يعاقبهما لأنه لم يصدر منهما جرم يستحق العقاب، وهكذا في قصة الإمام الحسين (عليه السلام) مع الحر وأصحابه فقد أشار أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) عليه بأن يبدأوا الحرب وأصحابه القتال قبل توارد جيش ابن زياد عليهم فقال (عليه السلام): «إني أكره أن أبدأهم بقتال».[2]

مناشئ العنف وأسبابه:

هناك عدة مناشيء للعنف الطائفي والأسري والقومي والإنساني.

السبب الأوّل هو التطرف الفكري كهؤلاء الذين يقتلون الآخرين لمجرد الاختلاف المذهبي والعقائدي بسبب التطرف الفكري، وقد جاء الإسلام ليقتلع جذور التطرف الفكري الذي له امتداد تأريخي منذ الصدر الأوّل للإسلام.

لاحظنا هذا التطرف بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حينما قادوا عليّاً (عليه السلام) مكتوفاً وهو أوّل من أسلم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) باجماع التاريخ وهو صاحب المناقب والمفاخر وكان أخلص الناس لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد بايعه المسلمون زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم غدير خم، لكنهم بعد رسول الله قالوا له: بايع فقال: وإن لم أُبايع؟

قيل: إذن نضرب الذي فيه عيناك!

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ٢٤٨.

(2) الأخبار الطوال: ٢٥٢.

هذا تطرف وإرهاب استمر إلى يومنا هذا عبر ما نسميه بـ (الإسلام الأموي)، ومن الحيف أن يسمى إسلاماً لأنه في الحقيقة إرهاب ونفاق لبس ثوب الإسلام، أما الإسلام القرآني المحمّدي العلوي فإنه يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[١] ويقول على لسان أمير المؤمنين عليه السلام: «الناس اثنان، اخٌ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[٢] فحتّى لو لم يكن مسلماً لا يحق لك قتله، والقرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام تؤكد ذلك، قال تعالى: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً﴾[٣] مجموعة من الناس يسميها القرآن بالمستضعفين وهم الذين لا يعرفون طريق الهدى لا لحقد ديني بل لعجز في الوصول إلى الحقيقة ومعرفتها كالمجتمعات البشرية الموجودة اليوم التي لم يصلها الدعاة والمبلغون في الغرب وأفريقيا وغيرها من دول العالم، فهؤلاء لا يجوز قتلهم والله يعدهم بالمغفرة منه كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية: «لا يستطيعون سبيل أهل الحق فيدخلون فيه، ولا يستطيعون حيلة أهل المكر والنصب، هؤلاء يدخلون الجنّة بأعمال حسنة وباجتناب المحارم التي نهى الله عنها ولكن لا ينالون منازل الأبرار» وهذه ثقافة إسلاميّة لكيفية التعامل مع هذه الأجيال التي لا تعرف الإسلام ولا يمكن الوُصول إليها لأنها مطوقة إعلامياً وفكرياً.

وفي مجال التعامل معهم يقول الله تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) دراسات في نهج البلاغة/ محمّد مهدي شمس الدين: ١٢١.

(٣) النساء: ٩٨ و٩٩.

لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١] هذا هو تعامل القرآن مع هذه الشرائح المستضعفة، لكن الإسلام الأموي والوهابية اليوم قد أصّلت وجذّرت التطرف المذهبي في هذا الزمان.

اليوم حيث اكتووا بنار التطرف الفكري بعد أن توسع وأحرق بلادهم، دعا إمام المسجد الحرام الشيخ السديسي في الأسبوع الماضي إلى بناء جيل وسطي ونبذ التطرف في حين كانوا يعتبرون دم الشيعة حلالاً لأنهم كفرة لمجرد أنهم يقبلون صريح رسول الله صلى الله عليه وآله أو سائر الأئمّة الأطهار! وهكذا تعاملهم مع غير الشيعة من المذاهب الإسلاميّة الأخرى.

وقد قرأت لعالم آخر وهو (الغنوشي) يقول: ان الحركات الإسلاميّة تستخدم سياسة أحادية وتصنف الناس إلى نوعين: إما مؤمن وإما عدو فهو كافر، ونَقَدَ هذه السياسة ودعا إلى تغييرها.

سياسة أهل البيت عليهم السلام:

أما سياسة أهل البيت عليهم السلام فهي الانفتاح على كل المسلمين من كل المذاهب الإسلاميّة ودعوة أتباعهم لحضور مناسباتهم والمشاركة في تشييع جنائزهم حتّى الصلاة خلفهم كما في بعض الروايات الشريفة فأهل البيت عليهم السلام قدموا لنا منهجاً يقوم على أساس الأخوة والانفتاح والمحبة والوحدة، والعالم مدعو للإقتراب من فكر وشيعة

(١) الممتحنة: ٨.

أهل البيت عليهم السلام في التعامل مع بقية الطوائف الإسلاميّة والأديان الأخرى.

إن أصل العنف اليوم ناشيء من تطرف فكري بينما القرآن يأمر بالعدل والإحسان والأعمال الخيرة ووحدة الصف ونبذ العنف والإصلاح بين الناس.

* * *

المشكلة السابعة والثلاثون
الزواج الفاشل

وهـي مشـكلة عالميـة كمـا هـي موجـودة فـي عالمنـا الإسـلامي ونقصـد بـالزواج الفاشـل لـيس ذلـك الـزواج الـذي ينتهـي إلـى الطـلاق بالضـرورة، فقـد ينتهـي بـالطلاق وقـد لا ينتهـي، فيمـا يعـيش الزوجـان فـي حالـة مـن الشـقاء والبـؤس،[1] فقـد ذكرنـا حـالات الطـلاق فـي العـراق

(1) جاء في موقع نيويورك - وكالات تحت عنوان:
الأمريكيات يفضلن أزواجاً بصفات الكلاب:
ذكـرت دراسـة أن الأمريكيـات يتمنّـين لـو أن شـركاء حيـاتهن كانـت لـديهم صـفات كتلـك التـي للكـلاب، لكانـت حيـاتهن أسـعد حـالاً، واختفـت الكثيـر مـن المشاكل التي تعكر صفو علاقاتهن مع الجنس الآخر.
وجاء في استطلاع للرأي أعده (أميريكـان كينيـل كلـوب) ان ٣٤% مـن الأمريكيـات أكدن بأن لو كان الكلب رجلاً لما ترددن في جعله صديقاً مميزاً لهن.
وقالـت ٩٠% مـن النسـاء أنـه كـن يتمنين لـو أن الشـريك الآخـر يتمتع بـبعض ميـزات الكـلاب الجيـدة الكثيـرة، مثـل الاحتفـاظ بـالمزاج الرائـق والـدائم، والرغبـة فـي قضاء أكبر وقت معهن، وغمرهن بالعطف عند الاسترخاء على المقعد.
وأشـارت الدراسـة إلـى ان الرجـال يعجبـون بكلابهـم لأنهـا تـركض إلـيهم بتـودد عنـد القـدوم إلـى المنـزل، ولا تتـذمر عنـد مشـاهدتهم البـرامج الرياضـية علـى التلفزيون.
وقـال غايـل ميلـر المتحدث باسم (أميركـان كينيـل كلـوب) لشبكة (أي بـي سـي) الاخباريـة الأمريكيـة إن (الكـلاب مهمـة جـداً لأصـحابها، وبامكانهـا فـي حـالات كثير إما إصلاح علاقات الشريكين أو حتّى تدميرها).

حسـب إحصـائية رسـمية وقلنـا انهـا بلغـت مائـة وثمـانين ألـف حالـة طـلاق فـي السـنة أي مـا يعـادل خمسـمائة حالـة طـلاق فـي اليـوم الواحـد هـذا فضـلاً عـن مشـكلة تـأخر الـزواج وهـو أمـر عـالمي، ونلاحـظ هـذه الحالـة كـذلك فـي تركيـا وإيـران والعـالم العربـي، فالإمـارات تعـاني مـن مشـكلة العنوسـة وهـي المشـكلة رقـم واحـد فـي الإمـارات لأنهـم تركـوا نسـاءهم وانفتحـوا على أبواب أخرى ونساء أجنبيات لسبب من الأسباب.

عوامل الزواج الفاشل:

هنـاك عوامـل مـن خـارج الأسـرة تـدعو إلـى فشـل الـزواج، فالإقتصـاد والحـروب ومشـكلة السـكن والبطالـة والتـدخلات مـن أطـراف أخـرى كـالأبوين لأحـد الـزوجين أو كليهمـا والثقافـة الإجتماعيـة الفاسـدة هـي عوامـل خارجيـة تـؤدي إلـى فشـل الزواج في الكثير من الأحيان.

عوامل نجاح الزواج:

هناك أربعة عوامل تؤدي إلى نجاح الزواج:
العامل الأوّل: التعارف المسبق بين الطرفين.
العامل الثاني: أسس الاختيار الصحيح.
العامل الثالث: الأخلاق والمحبة.
العامل الرابع: الالتزام الديني.
هـذه العوامـل نـذكرها علـى سـبيل الإيجـاز وربمـا نقـف عنـدها بشكل مفصل في أحد الأيام.

التعارف المُسبق:

إن عدم الانسجام بين الزوجين قد يكون بسبب عدم التعارف المسبق بينهما قبل الزواج أي ان كلاً منهما يكون مجهولاً بالنسبة للآخر لذا يدعو الإسلام إلى التعارف المسبق بين الزوجين قبل الزواج ليتعرف كل منهما على الآخر بشكل جيد وعلى كافة التفاصيل حتّى المشي والأكل والكلام، الإسلام يسمح بالجلوس معاً مع ضمان العفة وعدم حصول علاقة غير شرعية.

أسس الاختيار:

وهكذا يؤكد الإسلام على أسس الاختيار الصحيح لشريك الحياة من حيث صفاته وأخلاقه على المدى البعيد فالمهم في شريك العمر أن يكون مؤمناً، ذا أخلاق حسنة وليس بالضرورة أن يكون غنياً أو صاحب منصب حكومي ومثل ذلك الفتاة فالمهم فيها أخلاقها وإيمانها قبل الصفات المادية الأخرى.

أخلاق المحبة:

وعن العامل الثالث وهو الممارسة الأخلاقية والمحبة أقرأ لكم أحاديث في اهتمام الإسلام بالأخلاق البيتية بحيث تجعل الزواج سعيداً حتّى لو كان هناك فقر ومشكلات أخرى لكن يصبح البيت مضيئاً بالمحبة والاحترام.

جاء عن رسول الله ﷺ: «ما زال جبرئيل يوصيني بالمرأة حتّى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلاّ من فاحشة مبيّنة».[1]

---

(١) بحار الأنوار ١٠٠: ٢٥٣.

وقال ﷺ في رواية أخرى: «قول الرجل للمرأة إني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً».[1]

«إذا سقى الرجل امرأته أُجر»[2] هكذا يحترم الإسلام المرأة حيث قال ﷺ: «جلوس المرء عند عياله أحب إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا»[3] ولكن البعض يخرج إلى خارج البيت لتناول طعامه ويترك زوجته وحيدة في البيت لا لضرورة وإنما التعالي عليها وهي ثقافة غير صحيحة.

وقال ﷺ: «خياركم خياركم لأهله».[4]

وقال الصادق عليه السلام: «من حَسُنَ برُّه بأهله زاد الله في عمره».[5]

وفي المقابل يوصي النبي ﷺ المرأة بالرجل حيث قال: «أيما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلاّ نظر الله إليها ومن نظر الله إليه لم يعذبه».[6]

وقال ﷺ: «أيما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام أغلق الله عنها سبعة أبواب النار وفتح لها ثمانية أبواب الجنّة تدخل من أيها شاءت».[7]

هذا نموذج من الحقوق المتقابلة بين الزوجين، والأخلاق الإسلاميّة في البيت لو طبقت لما وصلنا إلى الحالة التي نحن فيها من حالات الزواج الفاشل.

---

(١) الكافي ٥: ٥٦٩/ باب نوادر/ ح ٥٩.
(٢) ميزان الحكمة ٢: ١١٨٦.
(٣) السابق.
(٤) بحار الأنوار ٧٦: ٢٦٨.
(٥) الكافي ٨: ٢١٩.
(٦) بحار الأنوار ١٠٠: 251.
(٧) وسائل الشيعة ٢٠: ١٧٢.

المشكلة الثامنة والثلاثون
الصراع الذاتي في نفس الإنسان

وهي من المشاكل التي يعاني منها جميع البشر، فهناك صراع خارجي بين القوميات والطوائف والعشائر، وهناك صراع داخلي يقوم في نفس الإنسان منذ آدم إلى نهاية البشرية، بين عناصر الخير وعناصر الشر.

ثلاث معالجات:

ثلاث معالجات مطروحة في الساحة:

المعالجة الأولى: تطرحها المدرسة الغربية حيث تقول إن هذا الصراع ناشئ من القيم والتقاليد الإجتماعية المفروضة على الإنسان، إذا استطاع التحرر منها فإنه يتخلص من الصراع، وهنا تطرح مسألة الإباحية المطلقة لحل المشكلة وإطلاق العنان للشهوات والغرائز للإنسان لفعل ما يريد.

المعالجة الثانية: تطرحها المدرسة الشيوعية حيث تقول إن مناشئ الصراع هو الواقع الإقتصادي وانعكاسات هذا الواقع على طبقات المجتمع بسبب الطبقة البرجوازية المسلطة على الناس، والعلاج الذي تطرحه هو إزالة التفاوت الطبقي والإقتصادي بين طبقات المجتمع وبذلك ينتهي الصراع بين الخير والشر.

النظرية الإسلاميّة تقول إن هذا الصراع الداخلي في الإنسان صراع ذاتي كان مع الإنسان منذ هبوطه إلى الأرض وسيبقى معه إلى

أن تنتهي البشرية، انه موجود مع كل الناس حتّى الأولياء والأنبياء والأئمّة الأطهار عليهم السلام وهذا الصراع فطري في قلب الإنسان، والشيطان يمثل طرف الشر في هذا الصراع كالبكتريا التي تتصارع مع كريات الدم وهو صراع مستمر، كذلك هذا الصراع بين قوى الخير والشر في نفس الإنسان، إذن هذا الصراع ليس له ارتباط بالقيم والتقاليد الإجتماعية ولا بالعامل الإقتصادي ولا ببقعة معينة دون أخرى ولا بطبقة من الناس دون طبقة أخرى.

المعالجة الإسلاميّة:

الحل الإسلامي المطروح لهذه المشكلة يتمثل في الأمور التالية:

١ ـ التدبر وعدم الغفلة عن هذه المعركة بين قوى الخير والشر في النفس الإنسانية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[1] فالشيطان يمثل محور الشر وانفلونزا الشر، فعلى الإنسان الاستعداد لمواجهته والحذر الدائم منه.

٢ ـ تزكية النفس وترشيد عوامل الخير فيها لتستطيع مقاومة عوامل الشر فيها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها * وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها﴾.[2]

٣ ـ زرع روح الأمل وحسن الظن بالرحمة الإلهية وعدم اليأس وسوء الظن بالله تعالى ورحمته الواسعة، فالإنسان قد يصدر منه الذنب

(١) فاطر: ٦.

(٢) الشمس: ٩ و١٠.

والمعصية لكن عليه المبادرة إلى التوبة والاستغفار وترك المعصية ولا يقع صريع الذنب وتغلب عليه حالة اليأس والتي تعتبر من أكبر المعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[1] **فكثير من الناس من هذا الصنف وعليهم عدم اليأس من رحمة الله.**

* * *

(١) التوبة: ١٠٢.

المشكلة التاسعة والثلاثون
اضطهاد المرأة

الواقع الغربي:

هـذه المشـكلة موجـودة فـي كـل العـالم ومـا اسـتطاعت الحضـارة الغربيـة أن تقتلـع جـذورها، فلقـد أفـاد التقريـر السـنوي للشـرطة الفيدراليـة فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة أن عـدد جـرائم الإغتصـاب ارتفـع عـام (٢٠٠٤) مقارنـةً بالعـام الـذي قبلـه وان (١٦/١٣٧) جريمـة قتـل وقعـت فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة عـام (٢٠٠٤) وان عـدد جـرائم القتـل ارتفـع قياسـاً إلـى عـام (٢٠٠٠) وارتفعـت جـرائم العـدوان علـى المـرأة بمعـدل (٨%) مـع (٩٤/٦٣٥) حالـة اغتصـاب، أي بزيـادة (٧٥٤) حالـة عمـا كـان عليـه عـام (٢٠٠٣)، يعنـي هنـاك تصـاعد مطـرد فـي الجريمـة وفـي التعـدي علـى النسـاء، وارتفعـت جـرائم الإغتصـاب (٥%) عمـا كانـت عليـه عـام (٢٠٠٠) وهذا ظلم للمرأة في عمق العالم الغربي.

مجموعة حلول:

هنـاك معالجـة لهـذا الإضـطهاد لـدى الـنظم الغربيـة مقبولـة فـي كثيـر منهـا وغيـر مقبولـة فـي بعـض منهـا، الغـرب مـن أجـل أن يتغلـب علـى اضطهاد المرأة قدّم مجموعة حلول:

الحل الأوّل: إطلاق الحريات.

الحل الثاني: التثقيف على احترام المرأة وحقوقها.

الحل الثالث: تقنين حقوق المرأة.

الحل الرابع: تأسيس جمعيات للدفاع عن المرأة.

الحـل الخـامس: تـدريب المـرأة علـى السـلاح والـدفاع البـدني مـن خلال الجودو والكاراتيه.

ومع كل هذه الحلول فجريمة اضطهاد المرأة في تصاعد مستمر.

ما هي الحلول الإسلاميّة لمشكلة اضطهاد المرأة؟

هـذا البحـث نـذكره علـى مستوى خطـوط عريضـة فقـط وإشـارات لا أكثر.

الإسـلام يعتقـد بحريـة المـرأة وحقوقهـا وأهميـة فـرض قـوانين تحمـي المـرأة، ويتميـز الإسـلام عـن الحضـارة الغربيـة فـي رعايـة المـرأة والدفاع عنها، يتميز بأشياء:

١ _ ثقافـة العفـاف: الإسـلام يعتقـد أن المـرأة طالمـا كانـت مبتذلـة ومكشـوفة للآخـرين فإنهـا إذن سـتتعرض إلـى عـدوان أكبـر ولا يمكـن لكـل الجـدران تحمـي المـرأة طالمـا كانـت امـرأة مبتذلـة، والغـرب جـرّب حالـة الابتـذال ولـم يسـتطع لا رجـال الشـرطة ولا القـانون أن يحمـي المرأة.

ولهـذا فـإن الإسـلام يقـول لـيس الحـل هـو إطـلاق الحريـات، بـل أحد الحلول هو ثقافة العفاف.

إن أهـم عامـل للتعـدي علـى المـرأة هـو الإبتـذال والإباحيـة، حينمـا تكـون فـي معـرض الرجـال فـإن ذلـك سـيثير شـهوة التعـدي لـدى الرجـال. هنا القرآن الكريم يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ﴾[1] هذا الأذى يحدث للمرأة حينما تكون متهتكة وتعرض نفسها لعدوان الرجال، فمن الطبيعي أن تتعرض للعدوان. العفاف هو أحد عوامل دفع الأذى عن المرأة وجدير بالذكر أن نشير إلى أن العفاف ينسحب على الرجل كما ينسحب على المرأة، ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ﴾.[2]

٢ _ الحساب الأخروي: القوانين الدنيوية تحاسب الرجل إذا اعتدى على المرأة، لكن هذا الحساب الدنيوي ليس قادراً على أن يختم الملف، والإسلام يضيف شيئاً آخر اسمه الحساب الأخروي يقول ان لعملية التعدي والظلم على المرأة عقوبة إلهية وحساب يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[3] أي توظيف الحساب الأخروي لتحقيق العدالة الإجتماعية، يعني ليس مجرد قانون دنيوي. أي أن الله يحاسبهم وليس القانون فقط فالقانون ربما يعجز والشرطة ربما غير موجودة لكن الإسلام يقول إن الله موجود.

٣ _ إعطاء الارتباط الايجابي مع النساء بُعداً دينياً: فالارتباط بالنساء ومحبتهنّ والإحسان إليهنّ ليس شهوة يندفع وراءها الإنسان إنما هي قضية ذات مذاق وذات طعم ديني.

(١) الأحزاب: ٥٩.
(٢) النور: ٣٠.
(٣) الأحزاب: ٥٨.

الدين يربي الإنسان على احترام الطرف الآخر والإحسان له من منطلقات دينية غير المنطلقات الإنسانية والوطنية والمادية والغريزية. ممكن أن يشتري إنسان لزوجته ملابس جميلة من منطلقات دنيوية فهو يريد أن تتجمل زوجته له وهذا أمر حسن، لكن الإسلام يعطي طعماً دينياً لعملية الإحسان للأهل وللمرأة بشكل عام، سواء أكانت أهلاً أو بنتاً أو أختاً أو طفلة ويلوّن المسألة بلون ديني.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ما روي عنه: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[1] أفضل الرجال هو أحسنهم مع زوجته وأسرته وعندما قال: «وأنا خيركم لأهلي» فهنا قد دخل الطعم الديني في العملية حيث يبعد الإنسان عن القسوة والظلم وكثير من الجفاء مع الأم والزوجة والأخت والبنت وما شاكل ذلك.

قال إمامنا الصادق عليه السلام: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته».[2]

وقال صلى الله عليه وآله فيما روي عنه: «أكثر أهل الجنّة من المستضعفين النساء، علم الله ضعفهنّ فرحمهنّ»[3] الله يرحم المرأة إذن لا بدّ للرجل أن يرحم المرأة.

يستحب للرجل إذا دخل البيت ومعه هدية أو فاكهة أن يقدمها أوّلاً للبنت الصغيرة وليس للابن، الله أكثر حناناً على البنات منه على

(١) وسائل الشيعة ٢٠: ١٧١.
(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٤٣.
(٣) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٦٨.

الأولاد وهـذا مفهـوم دينـي، لـو تسـرّب هـذا المفهـوم الـديني إلـى ضـمير الإنسان فأنه سيبتعد كثيراً عن حالة العدوان والاضطهاد للمرأة.

٤ ـ التشـريع: وضـع الإسـلام تشـريعاً لحمايـة المـرأة ففـي الوقـت الـذي يقـول الإسـلام يسـتحب للمـرأة أن تحسـن لزوجهـا وأن تنسـجم معـه، يقـول إذا اعتـدى الرجـل علـى المـرأة فالمحكمـة تحاسـبه ﴿وَإِنِ امْـرَأَةٌ خافَـتْ مِـنْ بَعْلِهـا نُشُـوزاً أَوْ إِعْراضـاً﴾،[1] **نحـن الرجـال دائمـاً نقـول هـذه المـرأة ناشـز، فنتصـور أن النشـوز للنسـاء فقـط بينمـا القـرآن يقـول إن الرجـل يمكـن أن يكـون ناشـزاً. وحينئـذ فحقوقـه سـاقطة والحـديث مفصـل في هذا الجانب.**

إن الإسـلام يحـوّل المجتمـع إلـى جنّـة يتعـاطون فيهـا بـالأخلاق والمحبـة والحنـان القـائم علـى أسـاس العاطفـة الإنسـانية ولـيس علـى أسـاس العاطفة المصلحية.

الـدين يقـول كلمـا ازداد الإنسـان إيمانـاً ازداد حبـاً للنسـاء، هـذا مفهـوم عجيـب لا نجـده فـي الغـرب ولا فـي الشـرق إلاّ فـي الـدين، والمقصـود طبعـاً لـيس الحـب الجنسـي بـل الحـب الإنسـاني المصـحوب بالرحمة والحنان.

* * *

---

(١) النساء: ١٢٨.

المشكلة الأربعون

ظاهرة العنوسة والعزوبة والزواج العرفي

تقرير بالأرقام:

أمامي تقرير موحش ومخيف عن ظاهرة مرضيّة مأساوية خطرة في العالم العربي ثمّ الإسلامي هي ظاهرة العنوسة للبنات والعزوبة للرجال،[1] حيث يبلغ الرجل من العمر أربعين سنة أو أكثر وهو أعزب

---

(1) جاء في جريدة بغداد العدد ١٢٣٨/ ٢٦ كانون ٢٠٠٥ تحت عنوان:

العنوسة.. خطر يهدد الأسر العربية والعراق يحتل المرتبة الأولى!

كشفت دراسة حديثة أن ٣٥% من الفتيات في كل من الكويت وقطر والبحرين والإمارات بلغن مرحلة العنوسة، وانخفضت هذه النسبة في كل من السعودية واليمن وليبيا لتصل إلى ٣٠%، بينما بلغت ٢٠% في كل من السودان والصومال، و١٠% في سلطنة عمان والمغرب، في حين أنها لم تتجاوز في كل من سورية ولبنان والأردن نسبة ٥% وكانت في أدنى مستوياتها في فلسطين، حيث مثلت نسبة الفتيات اللواتي فاتهن قطار الزواج ١%، وكانت أعلى نسبة قد تحققت في العراق إذ وصلت إلى ٨٥%. وقد أوضحت الإحصائيات أن العنوسة لا تقتصر على النساء فقط، فهناك نسبة كبيرة من الرجال يعانون من هذه الظاهرة، ففي سورية بيّنت الأرقام الرسمية أن أكثر من ٥٠% من الشبان السوريين لم يتزوجوا بعد، بينما لم تتزوج ٦٠% من الفتيات اللواتي تتراوح أعمارهن ما بين ٢٥ و٢٩ عاماً، وبلغت نسبة اللواتي تخطين ٣٤ عاماً، دون زواج ٢/٣٧%، وهو ما يعني أن أكثر من نصف النساء غير متزوجات. وفي لبنان، أكدت إحصائية أجرتها وزارة الشؤون الاجتماعية والصحة اللبنانية أن نسبة الذكور غير المتزوجين ما بين ٢٥ و٣٠ سنة تبلغ ٩٥/١% والإناث ٨٣/٢%.

\

]

أما في مصر فقد أكدت دراسة صادرة عن المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية أن نسبة غير المتزوجين من الشباب من الجنسين بلغت بشكل عام حوالي ٣٠%، وبالتحديد ٢٩/٧% للذكور و٢٨/٤% للإناث. وأشارت نتائج دراسة أردنية مماثلة إلى تأخر عمر الفتيات عند الزواج الأوّل إلى ٢٩/٢، بينما يتأخر إلى ٣١/٩ سنة لدى الذكور. وفي الجزائر كشفت الأرقام الرسمية، التي أعلنها الديوان الجزائري للإحصاء أن هناك أربعة ملايين فتاة لم يتزوجن بعد، على الرغم من تجاوزهن الرابعة والثلاثين، وأن عدد العزاب تخطى ١٨ مليوناً من عدد السكان البالغ ٣٠ مليون نسمة.

كما أعلنت دراسة نفذها الديوان الوطني للأسرة والعمران البشري بتونس تزايد نسبة العزوبية. وهذا ما دفع خبراء الاجتماع وشؤون الأسرة العرب إلى دراسة الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة وكيفية مواجهتها والتخفيف من سلبياتها على الشباب والفتيات والمجتمع كله، فقد جاءت الأزمة الاقتصادية وضيق ذات اليد في مقدمة الأسباب التي أدت إلى تفاقم المشكلة، فعلى سبيل المثال لعب التغيير الاقتصادي الذي ساد منطقة الخليج العربي دوراً كبيراً في زيادة الخلل، حيث بدأت الأسر بتقليد من هم أعلى منهم اجتماعياً، ما أدى إلى المغالات في المهور والبذخ في الأفراح وارتفاع أثمان الأثاث وفخامة البيوت.

وللأسف، كان لتعلم الفتاة دور في استفحال هذه الظاهرة، فقد استفادت الفتيات من الانفتاح في دفع مسيرتهن العلمية والعملية، في حين كانت أعباء الشباب ثقيلة لم تسمح لهم بمتابعة تعليمهم، الأمر الذي أدى إلى تفاوت كبير في المستوى التعليمي بين الشاب والفتاة، فأحجم الشباب عن الفتاة المتعلمة خوفاً من تعاليها عليه نتيجة عدم التكافو، ورفضت هي الاقتران بمن هو أقل منها خوفاً من اضطهاده لها والتعامل معها بعنف ليقتل فيها إحساسها بالتميز.

هذا وقد أصبح زواج المواطنين من أجنبيات سبباً آخر خطير وراء انتشار العنوسة، وخاصة في دول الخليج العربي.

\

والبنت تبلغ من العمر ثلاثين إلى أربعين عاماً وهي غير متزوجة. يقول التقرير أن (٣٥٪) من النساء في الكويت، قطر، الإمارات، والبحرين قد بلغت مرحلة العنوسة و(٣٠٪) في السعودية واليمن وليبيا، و(٢٠٪) في السودان والصومال، و(١٠٪) في سلطنة عمان والمغرب، و(٥٠٪) من الشباب في سوريا لم يتزوجوا، و(٢٥٪) من الشبان والشابات في لبنان لم يتزوجوا، و(٣٠٪) من الشبان والشابات في مصر لم يتزوجوا، ويعني ذلك رقماً كبيراً من الإنسان المحطم والشاب أو البنت المحطمة، هذه النسبة تعني أن (٣٥٪) من أولادنا غير سعداء.

وإذا وصلنا إلى العراق حسب هذا التقرير نجد أمراً كارثياً، من الحق أن نسميه كارثة إنسانية في العراق، التقرير يقول إن نسبة العنوسة والعزوبة في العراق بلغت (٨٥٪) ويعني أن (٨٥٪) من بناتنا غير متزوجات ومن أولادنا غير متزوجين، هذه كارثة إنسانية، وتعني أن المجتمع العراقي محطم بضغط العنوسة والعزوبية، والله لا يرضى بذلك والإسلام مليء بالحنان ولا يرضى أن يبقى شبابنا وبناتنا بهذا الشكل من التحطيم.

]

أضف إلى ذلك بعض العوامل التي ساعدت على استمرار تفاقم هذه الظاهرة، تحددت في الانتشار الكبير لبدائل غير مشروعة، مثل الزواج العرفي وزياد إقبال الشباب على الإنترنت، وهي طرق بديلة وخائطة لجأ إليها كثير من الشباب للتخفيف من الشعور بالأزمة والرغبة في الارتباط بالجنس الآخر. بعد تلك الأرقام المخيفة باتت العنوسة ناقوس خطر يهدد الأسر العربية.. لكن مع تعقد الحياة ومتطلباتها هل سننجح بالقضاء على هذه الظاهرة، أو محاصرتها والحد منها؟ أم أنها ستظل مشكلة قائمة تبحث عن حل؟

أسباب ذلك:

ولذلك طبعاً مجموعة أسباب: ففي العراق يقف على رأس تلك الأسباب صدام وحزب البعث والحروب التي جرّنا إليها صدام وحزب البعث لعنة الله عليهم وعلى كل بعثيّ في العراق وفي خارج العراق بما حطموا هذا الشعب ودمروا أسرته وعائلته، حيث أثاروا حروباً مدة خمسة وثلاثين عاماً قُتل فيها أولادنا بينما تبقى بناتنا أرامل وعانسات والبعثيون يصفقون ويجلسون في المواقع والكراسي الحاكمة ويتفرجون، شبابنا يُقتلون مرة في حرب مع الأكراد ومرة مع إيران ومرة مع الكويت والسجون مليئة بشبابنا. (٨٥٪) ظاهرة العنوسة في العراق من الحق أن يبكي الإنسان دماً لهذه المأساة الكارثية في العراق، وأنا لا أريد أن أُقيّم هذا الرقم كم هو دقيق أو غير دقيق لكن هو واقع مشهود أمامنا، لينظر كل منكم إلى ما حوله سيجد أن أكثر من نسبة (٧٠٪) من بناتنا غير متزوجات ومن شبابنا غير متزوجين، ومن أسباب ذلك: غلاء المهور وفقد العمل والمسكن ووجود العلاقات غير المشروعة والإنترنيت والزواج من الأجنبيات في الخليج، والدراسة الجامعية، وضعف ثقافة الزواج والمشاكل العائلية بين الأبوين وغير ذلك.

ما هو الحل؟

اليوم نتيجة ضغط هذه المأساة انتشرت ظاهرة الزواج العرفي في العالم العربي والعالم الإسلامي حيث بدأ يكتسح الشبان والشابات خاصة في الجامعات، الزواج العرفي يعني أن ولداً وبنتاً يتفقان على زوجية مؤقتة كأن تكون لمدة سنة أو أربع سنوات مدة الدراسة الجامعية ثمّ تنتهي وبدون إثبات رسمي لدى المحكمة، هذا ليس

زواجاً دائماً بل زواجاً مؤقتاً وذلك بضغط مأساة العنوسة والعزوبية التي أشرنا إليها.

مع الأسف أن القانون في أكثر البلاد العربية والإسلاميّة ووعاظ السلاطين من فقهاء المذاهب الأخرى يلاحقون هؤلاء الشباب والشابات ليمنعوهم من الزواج العرفي ولا يلاحقونهم من الفحشاء والزنا ودور الدعارة في تلك البلاد فإنها حرّة ومسموحة لكن حينما وصل الأمر إلى زواج عرفي شرعي أصبح القانون وأصبح شيخ الأزهر يلاحق هؤلاء الشباب المساكين وهم بالملايين في العالم الإسلامي، الآن يثير شيخ الأزهر ضجة، والفقهاء من المذاهب الأخرى يعملون ضجة والقانون في اليمن والسعودية وغيرهما أصبح يلاحق هؤلاء على الزواج العرفي أو الزواج السياحي أو الزواج المسيار وهو الزواج المؤقت في مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأصبحت الصحف تكتب أن الزواج العرفي كارثة وتعتبره زنا قانوني ويسطرون منظومة فكرية كاملة ضده.

العنوسة مأساة اجتماعية في عالمنا الإسلامي ومسؤولية الفقهاء وأئمّة الجمعة وأئمّة المساجد هي أن يعالجوا مشاكل الناس في العالم العربي والإسلامي، ويبحثوا الحل الشرعي لها.

شيخ الأزهر يقول: الزواج هو عقد على قصد التأبيد والدوام، يعني هو عقد بين طرفين لكن مشروط بأن يكون بنحو أبدي، ثمّ أضافوا له شرطاً ثانياً وهو الإشهار أي أن يكون معلناً وشرطاً ثالثاً هو التسجيل في المحاكم القانونية أي التوثيق ولكن ملايين الشباب اليوم

لا يستطيعون الزواج المؤبد ولا التوثيق في المحاكم وبالتالي تغلق عليهم أبواب الزواج الشرعي وتفتح لهم أبواب الفحشاء، وحينئذ يتفرج وعاظ السلاطين على شباب الأمّة وهي معذبة إما بالحفاظ بقسر على التزاماتها الدينية أو الإبتعاد والوقوع في فخ الشيطان، يتفرجون ولا يفتحون للشباب نافذة شرعية صحيحة وهي نافذة مذهب أهل البيت عليهم السلام حيث يعتقد أن الزواج هو عبارة عن عقد شرعي بين طرفين بدون شرط التأبيد أي قد يكون بتأبيد ودوام وقد يكون بمدة قصيرة أو طويلة لأن شرط التأبيد هذا غير موجود في القرآن الكريم وفي سُنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وأهل البيت عليهم السلام، انه شرط وضعه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ورأي هؤلاء أن يتركوا سُنة رسول الله والصحابة وأهل البيت ويلتزموا بسُنة عمر بن الخطاب.

يا فقهاء الأزهر الصحابة ساداتكم قد مارسوا الزواج العرفي، اقرأوا في كتبكم التاريخية ففيها أن رسول الله صلى الله عليه وآله شرّع الزواج العرفي ولكن حُرّم بكلمة عمر بن الخطاب حين قال: (متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أحرمهما)[١] هذا نص ثابت وتشريع كان في عهد النبي والصحابة قد مارسوا الزواج العرفي، وأهل البيت أيدوا تشريع الزواج العرفي فلماذا اليوم تمنعون ملايين الشباب والشابات منه وتورطونهم في المعصية أو الصبر على مأساة كارثية كالذي قرأناه. الإسلام دين الحنان والمحبة والسعادة.

القرآن نزل بذلك أيضاً حين قال: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ من أين جاء يا شيخ الأزهر شرط التأبيد والإشهار والتوثيق

(١) الانتصار: ٢٧١.

فـي المحـاكم القانونيـة؟ عنـدنا شـرطان همـا العقـد والمراضـاة بـين الطرفين، وفي الختام نود أن نتحدث بشيء تفصيلي عن المعالجة لهذه المأساة الإجتماعية وهي مأساة العنوسة والعزوبة.

تثقيف شعبنا على الزواج الدائم، والتغلب على مشكلات غلاء المهور وطلب أمور عالية وشروط غير واقعية، وهناك حل استثنائي وهو الزواج العرفي وفق الأصول الشرعية، لكنه حل استثنائي وليس هو القاعدة، نحن ندعو العالم العربي والإسلامي إلى إطلاق الزواج العرفي بدلاً من تكبيل الشباب والشابات وتوريطهم في المعاصي لا سامح الله وذلك وفق الضوابط الشرعية كما هي سُنة رسول الله ﷺ وأهل البيت والصحابة.

أحكام الزواج المؤقت:

لدينا مجموعة أحكام شرعية للزواج المؤقت:

أوّلاً: العقد أي أن يكون هناك إيجاب وقبول بين الطرفين، تقول الفتاة زوّجتك نفسي مدة كذا وبمهر كذا ويقول الشاب قبلت.

ثانياً: تحديد المدة كأن تكون سنة أو سنتين أو أربع أو أقل أو أكثر.

ثالثاً: الإلتزامات الشرعية في أثناء الزواج، فإن الشابة تصبح متزوجة إذن حكمها حكم المُحصَنة المتزوجة.

رابعاً: الإلتزامات الشرعية بعد انتهاء المدة من العدة وما شاكل ذلك.

خامساً: موافقة الولي أي ولي الأمر بالنسبة للبنت، وهو شرط اجتهادي، فبعض الفقهاء يحتاطون في هذا الشرط وبعضهم يفصلّون فيه القول، فبعض الفقهاء يقولون إن رضا ولي الأمر شرط لازم على

سبيل الاحتياط، وبعض الفقهاء يقولون هو شرط إذا أرادوا الممارسة الجنسية، أما الزواج بين شاب وشابة بدونها فلا يشترط فيه رضا الأب، ولحساسية هذا الموضوع فقد استشرت بعض مراجع الدين الكبار في النجف الأشرف في طرحه من على منبر الجمعة فأيّد ذلك، هذه قضية بالنسبة لنا قضية إنسانية كبرى وقضية شرعية.

* * *

مصادر التحقيق

القرآن الكريم.

الاحتجاج: الطبرسي/ مطبعة النعمان/ النجف/ ١٣٨٦هـ.

إقبال الأعمال: السيد ان طاووس/ مركز الإعلام الإسلامي/ قم/ ط ١/ ١٤١٤هـ.

الأمالي: الصدوق/ مؤسسة البعثة/ طهران/ ط ١/ ١٤١٧هـ.

الانتصار: الشريف المرتضى/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم/ ١٤١٥هـ.

بحار الأنوار: الشيخ المجلسي/ مؤسسة الوفاء/ بيروت/ ط ٢/ ١٤٠٣هـ.

تحف العقول: ابن شعبة الحراني/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم/ ١٤١٤هـ.

تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران/ ١٣٩٠هـ.

الحدائق الناضرة: المحقق البحراني/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم.

الخصال: الصدوق/ منشورات جماعة المدرسين/ قم/ ١٤٠٣هـ.

دراسات في نهج البلاغة: محمّد مهدي شمس الدين/ دار الزهراء/ بيروت/ ط ٢/ ١٣٧٦هـ.

درر الأخبار: سيد مهدي حجازي/ مكتب دراسات التاريخ والمعارف الإسلاميّة/ طهران/ ١٤١٩هـ.

دلائل الإمامة: الطبري الشيعي/ مؤسسة البعثة/ قم/ ط ١/ ١٤١٣هـ.

روضة الواعظين: الفتال النيسابوري/ منشورات الرضي/ قم.

السنن الكبرى: النسائي/ دار الفكر/ بيروت/ ط ١/ ١٣٤٨هـ.

سنن النبي: محمّد حسين الطباطبائي/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم/ ١٤١٦هـ.

شرح أصول الكافي: محمّد صالح المازندراني/ ت عليّ أكبر الغفاري.

شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد/ ت محمّد أبو الفضل/ ط ١/ ١٣٧٨هـ.

عدة الداعي: ابن فهد الحلي/ ت أحمد الموحدي/ مكتبة الوجداني/ قم.

عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور/ ت مجتبى العراقي/ قم/ ١٤٠٣هـ.

الغدير: عبد الحسين الأميني/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ ط ٤/ ١٣٩٧هـ.

فقه الرضا: عليّ بن بابويه/ مؤسسة آل البيت/ قم/ ط ١/ ١٤٠٦هـ.

الكافي: الكليني/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران/ ط ٣/ ١٤٠٤هـ.

كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم/ ١٤٠٥هـ.

كنز العمال: المتقي الهندي/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

مجمع الزوائد: الهيثمي/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ١٤٠٨هـ.

مستدرك الوسائل: النوري الطبرسي/ مؤسسة آل البيت/ قم/ ط ١/ ١٤٠٨هـ.

مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي/ مؤسسة فقه الشيعة/ بيروت/ ط ١/ ١٤١١هـ.

المعجم الكبير: الطبراني/ ت حمدي السلفي/ ط ٢.

مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي.

المقنع: الصدوق/ مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام/ قم/ ١٤١٥هـ.

من لا يحضره الفقيه: الصدوق/ جماعة المدرسين/ قم.

ميزان الحكمة: الري شهري/ دار الحديث/ قم/ ط ١/ ١٤١٦هـ.

نهج البلاغة: أمير المؤمنين عليه السلام/ دار المعرفة/ بيروت.

وسائل الشيعة: الحر العاملي/ مؤسسة آل البيت/ قم/ ط ٢/ ١٤١٤هـ.

* * *

فهرست الموضوعات

* * *